ثلاث محاضرات عن المشايخ

عبد العزيز بن عبد الله بــن باز
محمد بن صالح بن عثيمين
عمر بن محمد فلاتة
رحمهم الله

ألقاها في الجامعة الإسلامية بالمدينة

عبد المحسن بن حمد العباد البدر

الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله

نموذج من الرعيل الأول

محاضرة ألقاها

عبد المحسن بن حمد العباد البدر

في الجامعة الإسلامية

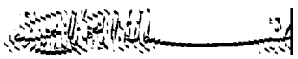

الحمــدُ للــه نحمــدُه ونســتعينُه، ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله مـن شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هـاديَ لـه، وأشـهدُ أن لا إلـه إلاّ اللـهُ وحـده لا شـريكَ لـه، وأشـهدُ أنّ محمّـداً عبـدُه ورسـولُه، وخليلُـه وخيرتُـه مـن خَلْقِـه، أرسـلهُ اللـهُ تعـالى بيـن يـدي السّـاعة بشيراً ونـذيراً، وداعيـاً إلـى اللـه بـإذنه وسراجاً منيراً، فدلَّ أمّتَهُ على كلِّ خير، وحذّرها من كلِّ شرّ، اللهمّ صلِّ وسـلِّم

وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن سلكَ سبيلَهُ واهتدى بهديه إلى يوم الدِّين.

أمّا بعدُ:

أيُّها الإخوةُ، إنّ حديثي معكم هذه اللّيلة[1] في شخصٍ عرفهُ الخاصُّ والعامُّ، عرفتْهُ الدُّنيا مسلمُها وكافرُها، رجلٌ ــ فيما أحسبُ ــ أكبرُ شخصيّةٍ علميّةٍ في هذا العصر، يذكّرنا بما كان عليه سلفُ هذه الأمّة من العلماء العاملين والهداة المصلحين من غزارة

---

[1] () هي محاضرة ألقيت ليلة الجمعة السّادس من شهر صفر عام 1420هـ في مسجد الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة، وقد فُرّغت من شريط التّسجيل وأُدخل عليها بعضُ التّعديلات.

علـــم، وكـــرم أخلاق، وســـعة اطّلاع، وعموم نفع ونصح للإسلام والمسلمين، وهو بحقّ نموذج من الرّعيل الأوّل.

وهـــو ســـماحةُ الإمـــام العَلاّمـــة، المحدِّث الفقيه، شيخ الإسلام، ومفـتي الأنـام، مجـدِّد القـرن الخـامس عشـر، الشّيخ عبد العزيز بن عبد الله بـن بـاز، رحمه اللهُ وغفرَ لـه، ولـن آتـي بشـيءٍ جديـــدٍ لا يعرفُـــه النّـــاسُ، فموضـــوعُ الحديث معروفٌ لـدى الخـاصِّ والعـامِّ، ولكن أحببتُ أن أُدْلِيَ بدَلْوي مع الدِّلاء، وأن أذكُرَ شيئاً ممّا يتعلّقُ بهـذا الرّجُـل العظيم، ولكي تكـون المعلومـاتُ عـن هـذا الرّجُـل العظيـم محصـورةً فأنـا أوجزُها في عشر نقاطٍ وهي:

أوّلاً: نسبُه، وولادتُه، ونشأتُه.
ثانياً: شيوخُه وتلاميذُه.
ثالثاً: أعمالُه التي تولاّها.
رابعاً: علمُه.
خامساً: عمومُ نفعِه.
سادساً: عبادتُه.
سابعاً: مؤلّفاتُه.
ثامناً: صلتي الخاصّةُ به.
تاسعاً: وفاتُه، وعَقِبُهُ، ومَنْ خَلَفَهُ.
عاشراً: أمنيّاتٌ ومقترحاتٌ.

هذه هي النِّقاطُ التي سيدورُ حولها الكلامُ عن هذا الرّجل الإمام العظيم رحمه الله.

أوّلاً: أقولُ ـ كما أسلفتُ ـ:

هو الإمامُ العلاّمةُ، المحدِّثُ الفقيــهُ، شــيخُ الإســلام، مفــتي الأنــام، مجــدِّدُ القــرن الخــامس عشــر، الشّــيخُ عبــدُ العزيز بن عبد الله بن عبد الرّحمن بــن محمّد بن عبد الله آل باز.

وُلد فــي مدينــة الرّيــاض فــي اليــوم الثّاني عشر مــن الشّــهر الثّــاني عشــر من عام ثلاثين بعد الثّلاثمائة والألف.

ونشأَ فــي أســرةٍ كريمــةٍ فيهــا أهــلُ علــمٍ وفضــلٍ، وكــان رحمــه اللــه منــذ نشــأته ذا همّــةٍ عاليــةٍ، وحــرصٍ علــى تحصــيل العلــم، وجِــدٍّ فيــه، وقــد حفــظ القرآنَ قبل البلــوغ، وكــان رحمــه اللــهُ بصــيراً، وحصــلَ لــه مــرضٌ فــي السَّــنَة السّادســة عشــرة مــن عُمُــرِه، ضــعفَ

فيها بصرُه، وأخذَ في الضَّعْفِ حتّى انتهى تماماً في سنِّ العشرين، ولكنّ الله عزّ وجلّ عوّضهُ بصيرةً في قلبِه، ونُوراً وإيماناً، فنشأ على علمٍ وفضلٍ، وجِدٍّ واجتهادٍ في تحصيل العلم، حتّى نبغَ في سنٍّ مبكّرةٍ رحمه الله.

ثانياً: أمّا شيوخُه الذين أخذَ عنهم العلمَ فمنهم

الشّيخُ محمّد بن عبد اللّطيف بن عبد الرّحمن بن حسن بن الشّيخ محمّد بن عبد الوهّاب رحمةُ الله على الجميع.

والشّيخُ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرّحمن ابن حسن قاضي الرّياض.

والشّـيخُ سـعد بـن حَمَـد بـن عَـتيق قاضي الرّياض.

والشّيخُ حَمَد بن فـارس وكيـل بيـت المال.

والشّيخُ سـعد وَقّـاص البخـاريُّ أخـذ عنه علمَ التّجويد في مكّة المكرّمة في سنة خمسٍ وخمسين وثلاثمائة وألف.

أمّا شيخُه الـذي تتلمـذَ عليـه كـثيراً، والذي لازمه سنينَ طويلةً، واستفادَ من علمِه، فهـو سـماحةُ الشّـيخ محمّـد بـن إبراهيـم بـن عبـد اللّطيـف بـن عبـد الرّحمن ابـن حسـن بـن الشّـيخ الإمـام محمّد بن عبد الوهّاب رحمةُ اللـه علـى الجميع، فقد دَرَسَ عليه العلومَ الكثيرةَ المتنوّعـة، واسـتفادَ مـن علمـه كـثيراً،

وكان رحمه اللهُ يُجِلُّ شيخَهُ، ويثني عليه، ويدعُو له كثيراً، رحمةُ الله على الجميع، فهؤلاء هم أبرزُ شيوخه.

أمّا تلاميذُه:

فهم كثيرون يصعبُ عدُّهم، وأستطيعُ أن أقولَ: إنّ الغالبيّةَ العظمى من القُضاة وأساتذة الجامعات في الكليّات الشّرعيّة، وكذلك في كثيرٍ من المعاهد والمدارس هم تلاميذُه أو تلاميذُ تلاميذِه، أو تلاميذُ تلاميذِ تلاميذِه، بل إنّ الأفواجَ الخمسةَ الأُولى الذين تخرّجُوا من كليّة الشّريعة في الرّياض، وهم الفوجُ الأوّلُ الذي تخرّج في عام ستّةٍ وسبعين وثلاثمائة وألف، وكذلك

الأفواجُ التي تلتهُم، وآخرُها الفوجُ الذي تخرّج سنة ثمانين وثلاثمائة وألف، وهي السَّنَةُ التي تسبقُ انتقالَهُ إلى الجامعة الإسلاميّة حيث كان يدرِّسُ في كليّة الشّريعة، فهذه الأفواجُ الخمسةُ هم تلاميذُه مباشرةً، أخذُوا عنه مباشرةً، وأوّلُ فوجٍ تخرّجَ وأخذَ عنه العلمَ هو الذي تخرّج في عام ستّةٍ وسبعين وثلاثمائة وألف، ومن حين تخرّجُوا وهم إمّا في تدريسٍ وإمّا في قضاءٍ، ومن أخذَ عن هؤلاء المدرّسين هم تلاميذُ تلاميذِه، وكذلك الشّأنُ في الأفواج الأربعة الأخرى. وهكذا فيكون الكثيرُ من القُضاة والمدرِّسين في الجامعات وفي غيرها في العلوم الشّرعيّة هم ــ كما قلتُ ـ إمّا من تلاميذِه، أو تلاميذِ

تلاميذِه، أو تلاميذِ تلاميذِ تلاميذِه.

وقد كان من فضل الله عزّ وجلّ عَلَيَّ أن كنتُ من تلاميذه الذين هم في الفوج الرّابع من الأفواج الخمسة الذين أخذُوا عن الشّيخ رحمه الله وغفرَ له.

وبعد انتقاله من المدينة إلى الرّياض كان له دروسٌ في جامع الإمام تركي بن عبد الله، وفي أحد المساجد القريبة من منزله، وأخذ عنه العلم فيها كثيرون من أساتذة الجامعات وغيرهم، فهؤلاء أيضاً من تلاميذه الذين أخذُوا عنه العلمَ.

ثالثاً: الأعمالُ التي تولاّها

أوّلُ عملٍ أُسند إليه القضاءُ في

الخَرْجِ، وكان ذلك في شهر جُمادى الآخرة من عام سبعةٍ وخمسين وثلاثمائة وألفٍ، أي وهو في السّابعة والعشرين من عمره رحمه الله، واستمرّ في القضاء في الخَرْجِ إلى نهاية عام واحدٍ وسبعين وثلاثمائة وألفٍ.

ثمّ بعد ذلك انتقلَ إلى التّدريس في معهد الرّياض العلميّ، وكذلك في كليّة الشّريعة بعد إنشائها، واستمرّ في هذا العمل إلى نهاية عام ثمانين وثلاثمائة وألفٍ حيث فُتحت الجامعةُ الإسلاميّةُ في أوّل عام واحدٍ وثمانين وثلاثمائة وألف، وكان هو المباشرُ لإنشائها وتأسيسها نائباً لرئيسها سماحة

المُفتي الشّيخ محمّد بن إبراهيم رحمه الله.

واستمرّ في الجامعة من العاشر من شهر ربيع الأوّل من سنة واحدٍ وثمانين وثلاثمائة وألفٍ إلى الرّابع عشر من شهر شوّال من سنة خمسٍ وتسعين وثلاثمائة وألفٍ، أي أنّه مكثَ فيها خمسةَ عشرَ عاماً.

ثمّ انتقلَ إلى رئاسة إدارة البحوث العلميّة والإفتاء والدّعوة والإرشاد واستمرّ فيها، وفي عام أربعة عشر وأربعمائة بعد الألف عُيِّن مفتياً عامّاً للملكة، ورئيساً لهيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلميّة والإفتاء.

وبالإضافة إلى ذلك كان يقومُ برئاسة المجلس التّأسيسي لرابطة العالَم الإسلامي، ورئاسة المجلس الأعلى العالمي للمساجد، ويقومُ أيضاً برئاسة المجمع الفقهي التّابع لرابطة العالَم الإسلامي، وأيضاً بعد انتقاله عن الجامعة صارَ عضواً في مجلسها الأعلى، وكان رئيسُها الأعلى خادمُ الحرمين الشّريفين حفظهُ اللهُ، وكان إذا غابَ عن الجَلَسات يُنيبُ سماحةَ الشّيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

رابعاً: علمُه

كان رحمه الله عالماً كبيراً كما يعرفُ ذلك الخاصُّ والعامُّ، وكان عالماً

ربّانيّاً، وقد نقلَ الحافظُ ابن حجر في فتح الباري عن ابن الأعرابي أنّه قال: لا يُقال للعالِم ربّانيّ حتّى يكون عالِماً عاملاً مُعلِّماً.

وقد كان كذلك فهو عالِمٌ وعاملٌ ومعلِّمٌ، وداعيةٌ إلى الله عزّ وجلّ على بصيرةٍ رحمه الله.

وكان إماماً في الدِّين، وقد قال شيخُ الإسلام ابن تيمية: بالصّبر واليقين تُنالُ الإمامةُ في الدِّين، قال اللهُ عزّ وجلّ: [illegible].

وكان رحمه الله عالِماً بالحديث

والفقه، له عنايةٌ بالدّليل، وحرصٌ على الرُّجوع إلى الأدلّة والتّمسُّك بها، والحثِّ على سلوك هذا المسلك، فكان معنيّاً بالحديث، ومعرفة صحيحه وضعيفه، ورجاله، ومن يُتكلَّمُ فيه منهم، وكان في فتاواه وفي دروسه يذكرُ ذلك فيقول: الحديثُ الفلانيُّ صحيحٌ، أو ضعيفٌ؛ لأنّ في سنده فلاناً، أو أنّه منقطعٌ، أو أنّه مرسلٌ، أو أنّه كذا، أو أنّه كذا.

وكان معنيّاً بالفقه رحمه الله، وهو المرجعُ في الفتوى في داخل المملكة وخارجها، وهو مفتي الأنام كما ذكرتُ، يرجعُ النّاسُ إليه في مختلف المسائل.

وكان يُعنى بذِكْرِ القول أو الحكم

مقروناً بدليله، وبيان وجهه، سواءً كـان من المنقـول أو مـن المعقـول، رحمـه اللهُ.

وكـان رحمـه اللـهُ فـي تعقّبـه علـى القـول الـذي يـرى أنّـه خلافُ الصّـواب في غاية الأدب مع أهل العلـم، فيقـول: هذا القولُ فيه نظرٌ، والصّوابُ هـو كـذا وكذا، ومـن يطّلـع علـى حاشـيته علـى فتـح البـاري الـتي تقـع فـي الثّلاثـة المجلّـدات الأُولـى يجـد ذلـك واضـحاً جليّاً، فإنّه عنـدما يتعقّـبُ الحـافظَ ابـن حجـرٍ أو مـن ينقـل عنـه فـي بعـض المسائل يبـدأُ بقـوله: هـذا القـولُ فيـه نظرٌ، والصّـوابُ هـو كـذا وكـذا، ويـذكرُ الدّليلَ علـى ذلـك، أمّـا إذا كـان القـولُ

ساقطاً أو باطلاً ظاهرَ البطلان مجانباً للحقِّ ومخالفاً للدّليل فإنّه يقول: هذا القولُ ظاهرُ البطلان، أو هذا القولُ غيرُ صحيحٍ، أو لا يصحُّ، قولٌ باطلٌ، أو ما إلى ذلك من العبارات.

وكان رحمه الله قد حصلَ له سؤددٌ في العلم، ومنزلةٌ عاليةٌ، ومكانةٌ رفيعةٌ، يشهدُ بذلك الخاصُّ والعامُّ، ولم يحصل هذا السُّؤدد من فراغٍ وإخلادٍ إلى الرّاحة، وإنّما حصّله بالجِّدِّ والاجتهاد منذ نعومة أظفاره، وهو رجلٌ عاملٌ جادٌّ، ذو همّةٍ عاليةٍ، والشّاعرُ يقول:

وإذا كانت النّفوسُ كباراً

تعبتْ في مرادها

الأجسادُ

فلم ينل ما نال ـ بعد توفيق الله ـ إلاّ بالجِّــدِّ والاجتهــاد، والتّعــب والنَّصَــب والمشــقّة، وبــذل الجهــد والصــحّة و العافيــة فــي الاشــتغال بــالعلم، و نفــع النّاس، رحمه الله.

وقد قال يحيى بن أبي كثيرٍ اليَماميّ كمــا ذكــرهُ عنــه الإمــامُ مســلمٌ فــي صــحيحه: لا يُســتطاعُ العلــمُ براحــة الجسم.

ويقول الشّاعرُ:

لولا المشقّةُ سادَ النّاسُ كلّهمُ
الجُـــــودُ يُفْقِـــــرُ والإقدامُ قتّالُ

وقد كان رحمه الله صابراً محتسـباً،

جادّاً مُجِـدّاً فـي جميـع مراحـل حيـاته، إلـى أن توفّـاهُ اللـهُ عـزّ وجـلّ، وكـان عاملاً في محلِّ العمل الرّسميّ، وفــي المسجد، وفي الطّريق، وفي الـبيت، لا يعرفُ وقتاً للرّاحة إلاّ الشّيء اليسـير، فبـابُه مفتـوحٌ رحمــه اللــه لاسـتقبال النّـاس للاسـتفتاء، وطلـب الشّـفاعة والمُسـاعدة والنُّصـح، وغيـر ذلـك مـن الأمور التي يحتاجُ إليها النّاسُ.

فهو إنّما حصّـلَ هـذا السُّـؤددَ وهـذه المنزلـــةَ العاليـــةَ الرّفيعـــةَ بالجِّـــدِّ والاجتهـاد، وبـذل النّفـس و النّفيـس، رحمه الله وغفرَ له.

خامساً: عمومُ نفعِه

كان رحمه الله نافعاً للنّاس في علمِه، وفي نُصحِه، وأمرِه بالمعروف ونهيِه عن المنكر، والدّعوةِ إلى الخير، ومُساعدة النّاس بماله وبجاهه، كلُّ ذلك من أوجه عموم نفعه.

فهو داعيةٌ إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، في محاضراته وكلماته وكتاباته.

وكان يقوم بتعيين الدُّعاة في خارج المملكة على نفقة بعض المحسنين.

ومن عموم نفعه كثرةُ فتاويه سواءً عن طريق المقابلة واللِّقاء المباشر، أو عن طريق المهاتفة، أو عن طريق المراسلة، كلُّ ذلك كان يحصلُ من سماحته رحمه اللهُ في نفع النّاس.

وكان رحمه اللـه عنـدما يقـف علـى بعــض الأخطــاءِ فــي بعــض الصّــحف والمجلاّت يُنبِّهُ عليها بكلماتٍ تنشرُ فـي الصّحف أو فـي رسـائل يكتبُهـا وتطبـعُ مستقلّةً.

وكانت مجالسُه رحمه الله معمـورةً بـالعلم والنُّصـح والنّفـع وإفـادة النّـاس والإحســان إليهــم، وهــي مجــالسُ تحضرُها الملائكـةُ لأنّهـا معمـورةٌ بـذِكْرِ اللـه وبـالعلم النّـافع وبالنُّصـح وبـالنّفع للمسلمين، رحمه اللهُ وغفرَ له.

وكــان حريصــاً علــى مســاعدة المحتــاجين، وتعميــر المســاجد، فــي داخل المملكـة وخارجهـا، وفـي مكتبـه الخـاصّ فـي بيتـه سـجلاّتٌ بأشـخاصٍ

وبجهاتٍ مختلفةٍ يتلقّون المساعدات، سواءً كانوا من الفقراء أو من الدُّعاة، في داخل المملكة وخارجها.

وكان رحمه الله ذا لطفٍ وكرمٍ، وحسن ضيافةٍ، فعندما يأتيه الإنسانُ ويكونُ من بلدٍ غير البلد الذي هو فيه يبادرُ إلى دعوته إلى تناول طعام الغداء أو العَشاء، ويسألُ عن حاله وحال أبيه وأمِّه إذا كانا موجودين، أو عن حال بعض أقاربه، وعن البارزين من أهل العلم في بلده، وهذا من كريم أخلاقه وفضله ونبله رحمه اللهُ.

وكان يرتادُ منزلَه الفقراءُ والمحتاجُون، ومن جاءَ مستفتياً أو طالباً مساعدةً، ويشاركُونه في طعام

الغـداء أو العَشـاء الـذي يهيّـأ كـلّ يـوم علـى قـدرٍ يكفـي لتلـك الأعـداد مـن ضيوفه رحمه اللهُ.

وفي حجّ عام ألف وأربعمائة وتسعة عشر وهو العام الـذي تخلّـف فيـه عـن الحـجّ فـي آخـر حيـاته لمـرض نصـحه الأطبّـاء بعـدم السّـفر للحـجّ مـن أجلـه كلّـف مـن يقـومُ بفتـح بيتـه فـي مكّـة، ومخيّمــه فــي منــى، وصُــنْعِ الــولائم وتقديمها للنّاس الذين اعتادُوا أن يـأتُوا إليه ليسـتفيدوا مـن علمـه، ويشـاركوه فـي طعـامه، وكـان يتّصـلُ بمـن كلّفـه بذلك بالهاتف للاطمئنان على ذلك.

وكـان يبـذلُ جـاهَهُ فـي الشّـفاعة للنّـاس وفـي مسـاعدتهم فـي تحصـيل

مطالبهم وقضاء حوائجهم.

ثمّ إنّه كان يتيسّرُ لـي أن أزورهُ فـي وقت الحجِّ في منزله وفي المخيّم فـي منى، وفي هذه السَّنَة لمّـا تخلّـف عـن الحجِّ سافرتُ إلى مكّـة لَمَّـا كـان فيهـا قبل ذهابه إلى الطّائف بيـومين، وذلـك فـي يـوم الخميـس الموافـق التّاسـع والعشرين من شهر ذي الحجّة، ذهبـتُ أنا وبعضُ أبنائي خصِّيصاً لزيارته، ولَمَّـا جئنا إليه وسلّمنا عليه كعادته يبادرُ إلـى السُّـؤال عـن الحـال وعـن الوالـدين، ويدعُو إلى تناول طعام الغـداء، فقلـتُ له: إنّـا قـد جئنـا مـن المدينـة خصِّيصـاً لزيارتك، ونتناولُ طعامَ الغداء معك ثـمّ نرجعُ إلى المدينـة، فقـال رحمـه اللـه:

قال اللـهُ عـزّ و جـلّ: ((وجبـتْ محبّـتي للمتحابِّين والمُتزاورين فِيَّ)).

وفي ذلك اللّقـاء كـان فـي مجلسـه ستّون من أصحاب الحاجات، وقد ذكــرَ عددَهُم أحدُ الذين كانوا يتولّـون قـراءةَ المعاملات عليه، وكان وصولنا إليه فـي السّـاعة العاشـرة صـباحاً، ومنـذ ذلـك الوقت إلى أن أذّن لصلاة الظّهر وعنده كاتبان كلٌّ واحدٍ منهما عنـده عـددٌ مـن المعاملات، يتناوبان القراءة عليـه، وإذا حصـلَ اتِّصـالٌ بالهـاتف رفـع السّـمّاعةَ وأجابَ على استفتاء من يستفي.

ولَمّا أُذّن لصلاة الظّهر سأل كم عددُ الذين بقيت معاملتهم؟ قيـل: إنّـه بقـي ثمانيةٌ، فقال: إن شاء اللهُ بعـد الصّـلاة

ننهـي معـاملاتهم، وبعـد الصّـلاة رجـعَ وأنهـى مـا بقـي وجلـسَ إلـى أن قُـدّم طعـامُ الغـداء، فقـام الجميـعُ لتنـاول طعـامَ الغـداء، وكـان الطّعـامُ كـثيراً كعـادته لأنّ الـذين يحضـرُون كـثيرون، وكان عددُ الصّحون الـتي تحلّـق عليهـا النّـاسُ فـي ذلـك اليـوم سـتّة صـحون كبيرة، رحمه اللهُ وغفرَ له.

ولم يكتف رحمه الله في بذله النّفـعَ للنّاس وحرصه على مساعدتهم فكتـبَ كتاباً لأحـد المشـايخ الكبـار وذلـك فـي اليوم الثّامن من الشّهر الثّالث من عام ثمانية عشر وأربعمائة وألف، قال فيـه: يسرُّني أن أخبركم بأنّه منذ زمنٍ طويلٍ

وأنا قائمٌ بالعمل على مساعدة كثيرٍ من المحتاجين في داخل المملكة وخارجها، وتعمير المساجد في داخل المملكة وخارجها، وتعيين الدُّعاة في خارج المملكة وذلك على نفقه خادم الحرمين الشّريفين ووليّ عهده وعدد من الأمراء وأصحاب الخير والتُّجّار، ثمّ قال بعد ذلك: والدّوامُ لله، و[illegible]، فإذا حدثَ بي حادثُ الموت أرجُو أن تتولّوا هذه الأعمالَ، وأن تحتسبُوا الأجرَ عند الله عزّ وجلّ.

سادساً: عبادتُه

كان رحمه الله عاملاً بعلمه، وثمرةُ

العلمِ العملُ، فكان كثيرَ الذِّكْرِ للـه عـزّ وجلّ، وكثيرَ الدُّعاء، وكان ملازماً للحجِّ، وقد حجّ سبعاً وأربعين حجّةً رحمه الله، عرفتُ هذا لمّا زارَ منطقـةَ الباحـة فـي عام ألف وأربعمائة فـي شـعبان سُـئل، وكان من جواب السُّؤال أن ذكرَ عمرَهُ وأنّه في ذلك الوقت يبلغُ السّبعين مــن العُمُرِ، وأنّه حجّ ثمانياً وعشـرين حَجَّـةً، أخـبرني بـذلك أحـدُ الحاضـرين، وكـان مواصـلاً للحـجّ حتّـى العـام الـذي قبـل العام الذي انصـرمَ وهـو العـامُ الثّـامنُ عشر بعد الأربعمائـة والألـف، فيُضـافُ إلـى الثّمـان والعشـرين تسـعَ عشـرة حَجَّةً، فيكونُ عددُ الحَجّات الـتي حجّهـا رحمه الله سبعاً وأربعين حَجَّةً.

ومِمَّـا وقفـتُ عليـه مِمَّـا يـدلّ علـى عظم عنايته بالعبادة والاشتغال بها أنّــه في عام سبعةٍ وتسعين وثلاثمائة وألـفٍ في آخـر شـهر ذي القعـدة ذهبـتُ مـن المدينة إلى مكّة لحاجةٍ تتعلّـقُ بالعمـل إذ كنتُ نـائبَه فـي الجامعـة الإسـلاميّة، وبتُّ عنده تلك اللّيلة في منزلـه، وكـان في بيته مكان مستطيل، فكان يمشــي فيه ذاهباً آيبـاً ويقـرأُ القـرآنَ، يريـدُ أن يتحرّك ويقرأ القرآنَ الكريم.

وأيضــاً أذكــرُ أنّــه فــي ســنةٍ مــن السّنوات لمّا كان فـي الجامعـة دخلـتُ معــه إلــى المســجد النّبــويّ بعــد أذان الظُّهــر، وكنــتُ بجــواره، فصــلّى أربــعَ ركعاتٍ وأنا صلّيتُ ركعتين، ومعلومٌ أنّه

جاءَ أنّ السّنَنَ الرّاتبةَ عشـرٌ وأنّهـا اثنتـا عشرة والأكملُ هو اثنتـا عشـرة، ولمّـا سلّم التفتَ إليَّ وقال: أنتَ مـا صـلّيتَ إلاّ ركعـتين، فقلـتُ: نعـم، فقـال: إنّ الاثنتي عشرة هي الأكملُ والأفضلُ.

فكـان رحمـه اللـه ملازمـاً لمـا هـو الأكملُ والأفضلُ، وينبِّهُ ويرشدُ ويلفـتُ النّظـرَ إلـى تحصـيل الأكمـل والأفضـل رحمه الله.

وأذكرُ أيضاً لمّـا ذهـب إلـى القصـيم في عام خمسةٍ وثمانين وثلاثمائة وألف ليـتزوّج مـن هنـاك كنـتُ مـع المشـايخ الذين ذهبُـوا معـه، ولمّـا كنّـا فـي أثنـاء الطّريق في وادٍ من الأودية فيه شـجرٌ، وفـي وسـط النّهـار كسـفت الشّـمسُ

فقام فصلّى بنا صلاةَ الكسوف في ذلك الوادي، رحمه الله.

سابعاً: مؤلّفاتُه

مؤلّفاتُ الشّيخ رحمه الله كثيرةٌ، وهي رسائلُ مفيدةٌ وعظيمةٌ، وقد بدىء بجمع هذه الرّسائل وكذا الفتاوى، وطُبع منها حتّى الآن اثنا عشر مجلَّداً، تسعةُ مجلّداتٍ تتعلّق بالعقيدة والدّعوة إلى الله في موضوعات مختلفة، ثمّ المجلّدُ العاشرُ والحادي عشر والثّاني عشر بدىء فيها بالفقه بكتاب الطّهارة وإلى نهاية كتاب الجمعة من كتاب الصّلاة.

ومن مؤلّفاته:

- الفوائد الجليّة في المباحث

الفَرَضِيّة.

ـ وكتاب التّحقيق والإيضاح لكثيرٍ من مسائل الحـجِّ والعمـرة والزّيـارة علـى ضوء الكتاب والسُّنّة، وهو كتابٌ عظيـمُ النّفـع، كـثيرُ الفائـدة كمـا يعلـمُ ذلـك الخـاصُّ والعـامُّ. وقـد طُبـع فـي حيـاة الملك عبد العزيز رحمـه اللـه، وتـوالت طبعاتُه حتّى بلغت الملايين من النّسخ، كما ترجم وطبع في لغات مختلفة.

ـ ومنهـا نقـدُ القوميّـة العربيّـة علـى ضوء الإسلام والواقع:

وكان ذلك في الزّمن الـذي حصـلت فيه هذه الفتنـةُ، وكثُـر الكلامُ فيهـا فـي الإذاعات والصّحف، فكـان منـه رحمـه

اللـه أن ألّـف كتابـاً عظيمـاً نافعـاً فـي ذلك وطبع طبعتـه الأُولـى عـام خمسـةٍ وثمانين وثلاثمائة وألـف، مـع أنّ بعـض الشّباب في هذا العصـر يتكلّمُـون فـي كبـار العلمـاء ويقولـون عنهـم: إنّهـم لا يفقهون الواقع، وهذا الكتابُ الذي كتبه اسـمُه: ((نقـدُ القوميّـة العربيّـة علـى ضوء الإسلام والواقع))، وكان ذلك قبل أن يُولد كثيرٌ من هؤلاء الـذين يقولـون: إنّهم يعرفُون الواقع، ومـن اطّلـع عليـه عرفَ ما فيه مـن الفقـه والفهـم علـى ضوء الكتاب والسُّنّة والواقع.

ـ ومنها ثلاث رسائل في الصّلاة.

ـ والتّحذير من البدع: يشـتمل علـى التّحـذير مـن أربـع بـدعٍ، وهـي بدعـةُ

الاحتفال بالمولد النّبويّ، وليلة النّصف من شعبان، وليلة الإسراء والمعراج، والرّدّ على الوصاية المنامية المزعومة من المدعو أحمد خادم الحجرة النّبويّة.

ثامناً: صلتي الخاصّةُ به

عرفتُ الشّيخَ رحمه الله في السَّنَةِ التي قدمَ فيها من الخَرْجِ إلى الرّياض؛ لأنّه قدم في أوّل عام اثنين وسبعين وثلاثمائة وألف، وأنا جئتُ من بلدي الزُّلْفِي بعدما أخذتُ الشّهادةَ الابتدائيةَ في عام واحدٍ وسبعين وثلاثمائة وألف، ودخلتُ في معهد الرّياض العلمي، وكان هو بدأ التّدريسَ

في تلك السَّنَة، ولكنّه لم يكـن يُدرِّسُـنا بل يدرّس بعـض الأفـواج الـذين قبلنـا، ومـــــا ظفـــــرتُ بتدريســـــه إلاّ في السَّنَةِ الأخيرةِ فـي عـام تسـعةٍ وسـبعين وثلاثمائـة وألـف، حيـثُ كـان مدرِّسـاً لطلاّب السَّـنَة النِّهائيّـة طلاّب السَّنَة الرّابعة من كليّة الشّـريعة، وأوّل رؤيتي إيّاه ولقـائي بـه فـي عـام اثنيـن وسبعين وثلاثمائة وألف، وكان في ذلك الــوقت عــددٌ مــن المشــايخ الكبــار يقومـون بإلقـاء الـدّروس فـي مسـجد الشّيخ محمّد ابـن إبراهيـم رحمـه اللـه بين المغرب والعِشاء، وهم الشّيخ عبـد العزيــز بــن بــاز رحمــه اللــه، والشّـيخ محمّد الأميـن الشّـنقيطي رحمـه اللـه،

والشّيخ عبد الرّحمـن الإفريقـي رحمـه الله، والشّيخ عبد الرّزّاق عفيفي رحمه الله، وكان المسجدُ يَعُجُّ بطلبـة العلـم، وأذكـر أنّـه كـان يلقـي دروسـاً فـي التّفسير في سورة مريم.

ثمّ كان اتّصالي به كثيراً في الفسـح بين الدّروس وفي المسجد وأزورهُ في منزلـه، ولمّـا جـاء عـام واحـد وثمـانين وثلاثمائـة وألـف كنـتُ بحمـد اللـه مـن الذين رُشّـحُوا للتّـدريس فـي الجامعـة الإسلاميّة في آخر عام تسـعةٍ وسـبعين وثلاثمائة وألف، حيثُ طلبتُ من الشّيخ محمّــد بــن إبراهيــم رحمــه اللــه أن يجعلني في سِلْكِ التّدريس فقـال: إنّـه يوافقُ على ذلك ولكنّـه يريـدُ أن أدرّس

في الجامعة الإسلاميّة عند افتتاحها، فقلتُ: أنا على أتمِّ الاستعداد، وفي عام ثمانين وثلاثمائة وألف لم تُفتح الجامعةُ الإسلاميّةُ، وكان يُذكرُ بعضُ الأشخاص الذين سيتولّون رئاستَها، ولَمَّا جاء افتتاحُها عام واحد وثمانين وثلاثمائة وألف، وعلمتُ أنّ الشّيخ عبد العزيز بن باز هو الذي سيتولّى إدارتَها نائباً عن رئيسها الشّيخ محمّد ابن إبراهيم رحمه الله فرحتُ فرحاً شديداً لما لهذا الرّجُل العظيم من منزلةٍ في نفسي، فصحبتُه خمسةَ عشرَ عاماً من أوّل عام واحدٍ وثمانين وثلاثمائة وألف إلى قرب نهاية عام خمسةٍ وتسعين وثلاثمائة وألف وهو منتصفُ شهر

شوّال من ذلك العام، حيث كان هو المسؤولُ في الجامعة في عشر سنواتٍ كان نائباً للرّئيس، ولكنّه هو المباشرُ للتّنفيذ، والقائمُ على إدارتها وتنفيذ أعمالها، وبعد ذلك كان رئيساً للجامعة. وكنتُ في تلك المدّة معه في مجلس الجامعة، وكان رحمه الله قد جعلني في مجلس الجامعة منذ إنشائها، وفي عام ثلاثةٍ وتسعين عيّنتُ نائباً للرّئيس بترشيح منه وموافقة من الملك فيصل رحمهما الله؛ فكنتُ ملازماً له في العمل، وأتّصلُ به باستمرارٍ، وكنتُ آتي إليه في المنزل أحيانا قبل الذّهاب إلى الجامعة وأجلسُ معه قليلاً، وكان معه الشّيخُ

إبراهيم الحصيّن رحمه اللهُ، وكان يقرأُ عليه المعاملات مـن بعـد صـلاة الفجـر إلى بعد ارتفاع الشّمس.

وفي يوم من الأيّام قال لـي: رأيـتُ البارحةَ رؤيا وهو أنّني رأيتُ كـأنّ هنـاك بَكْـرَةٌ جميلـةٌ [أي: ناقـةٌ] وأنـا أقودُهـا وأنتَ تسُوقُها، وقـال: أوّلتُهـا بالجامعـة الإسلاميّة، وقد تحقّق ذلـك بحمـد اللـه فكنتُ معه في النّيابة مـدّة سـنتين ثـمّ قمتُ بالعمل بعده رئيساً بالنِّيابة أربعـةَ أعوامٍ، وحصلَ للجامعة فـي ذلـك خيـرٌ كثيرٌ ولله الحمدُ. فكانت صلتي بالشّيخ رحمـه اللـه وثيقـةً، وبعـد انتقـاله إلـى رئاسة البحوث العلميّة استمرّت صـلتُه بالجامعة حيث كان عضواً في مجلسها

الأعلى كما أسلفتُ، وكان يرأسُ المجالسَ نيابةً عن خادم الحرمين الشّريفين إذا غابَ، لأنّ الرّئيسَ الأعلى للجامعة خادمُ الحرمين الشّريفين، وقد أنابَ سماحةَ الشّيخ في حال غيابه نيابةً مطلقةً.

تاسعاً: وفاتُه

توفِّي رحمه اللهُ ـ كما يعلمُ الجميعُ ـ في صبيحة يوم الخميس السّابع والعشرين من شهر المحرّم، قبل أذان الفجر بدقائق، وصُلِّي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة الجمعة، ودُفن في مقبرة العَدْلِ في مكّة المكرّمة، وشهدَ جنازتَهُ العددُ الذي لا

يحصيه إلاّ اللهُ.

وذلك لما للشّيخ رحمه اللهُ من المنزلة العظيمة والمحبّة في النّفوس، وأرجُو أن يكون ممّن قال اللهُ عزّ وجلّ فيهم: [illegible]، ومن الذين جاء ذِكْرُهُمْ في الحديث: ((إنّ الله إذا أحبَّ العبدَ نادى جبريل وقال: إنّي أحبُّ فلاناً فأحبّهُ، ثمّ يُنادى في أهل السّماوات: إنّ الله يحبُّ فلاناً فأحبُّوه، فيحبُّه أهلُ السّماوات، ثمّ يوضع له القَبولُ في الأرض)).

ولو كنتُ أقولُ الشِّعْرَ لقلتُ الشِّعْرَ

في رثائه ولكنّني لستُ بشاعرٍ، إنّما أتمثّلُ بشعر الشّعراء، وعندما كان يُوارى في قبره رحمه الله تذكّرتُ بيتاً هو مطلعُ قصيدةٍ للشّيخ محمّد بن عبد الله بن عثيمين المتوفّى سنة ثلاثٍ وستّين وثلاثمائة وألف، رثى فيها الشّيخ سعد بن عتيق وهو شيخُ الشّيخ عبد العزيز بن باز رحمةُ اللهِ على الجميع، وقد توفّي سنة تسعٍ وأربعين وثلاثمائة وألف، وكان عمرُ الشّيخ لمّا توفّي شيخُه سعد بن عتيق تسعةَ عشر عاماً، وبين وفاتيهما إحدى وسبعون سَنَةٌ، وهذا البيتُ هو قولُه:

أهكذا البَدْرُ تُخْفي نُورَهُ الحُفَرُ

ويُفْقَدُ العلمُ لا عَيْنٌ

ولا أَتَرُ

هذا هو مطلعُ القصيدةِ. ولمّا عدتُّ إلى المدينة رجعتُ إلى ديوانه المسمّى بـ: « العقد الثّمين من شعر الشّيخ محمّد بن عثيمين »، واطّلعتُ على القصيدة وهي تبلغُ ثلاثةً وأربعين بيتاً، اخترتُ منها بعضَ الأبيات، وهي تنطبقُ على الشّيخ تماماً:

أهكذا البَدْرُ تُخْفي نُورَهُ الحُفَرُ
ويُفْقَدُ العلمُ لا عَيْنٌ ولا أَثَرُ

خَبَتْ مصابيحُ كنّا نستضىءُ بها
وطوّحَتْ للمغيب الأنجُمُ الزُّهُرُ

واستحكمتْ غُرْبَةُ الإسلام وانكسفتْ

شمسُ العلومِ التي يُهـدى بها البَشَرُ

تُخُرِّجَ الصّـالِحُون المقتـدَى بِـهِـمُ وقامَ منهم مقامَ الـمُبـتـدا الخَـبَـرُ

فلستَ تسمـعُ إلاّ كـانَ ثمّ مـضى ويلحَـقُ الفـارطَ البـاقي كـما غَبَرُوا

وأذكرُ أنّ الحـافظَ ابـن حجـرٍ رحمـه اللـهُ ذكـرَ فـي ((الإصابة)) في ترجمة قيس بن عاصمٍ المنقـري التّميمـي ﷺ مـن أصـحاب رسول الله ﷺ، وكان سيّداً في قـومه، وقد رثاهُ عبدةُ بن الطّيّب فـي قصـيدةٍ

منها قولُه:

وما كان قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحدٍ

ولكـنّــهُ بنيـانُ قومٍ تهــدّمَــا

وهو ينطبق على الشّيخ عبـد العزيـز بن باز رحمه اللهُ.

فهو لم يكـن فقيـدَ أسـرةٍ، ولا فقيـدَ قريةٍ أو مدينةٍ، ولا فقيدَ قطرٍ أو إقليـمٍ، وإنّما هو فقيدُ العـالَم الإسـلاميّ رحمـه الله وغفرَ له.

وقـد خلـف رحمـه اللـهُ أربعـةً مـن البنين وستّاً مـن البنـات، وأحـدُ البنيـن وهو أحمد من طلبة العلـم، أصـلحَ اللـهُ بنيه، وبـارك فيهـم، وغفـرَ للشّـيخ ولنـا

جميعاً، ولكنّه خلّفَ الألـوفَ مـن البنيـن الذين يستفيدون من علمه ويدعون له، وقد قـال عليـه الصّـلاةُ والسّـلامُ: ((إذا مات ابنُ آدم انقطعَ عملُه إلاّ من ثلاثٍ، صدقةٍ جارية، أو علم ينتفـعُ بـه، أو ولـد صـالح يـدعُو لـه))، فأبنـاؤُه مـن نسـبه وأبنـاؤُه فـي العلـم كلُّهـم يـدعون لـه، والمسلمُون يدعون له رحمه الله وغفر له.

وخلفَـهُ فـي عملـه فـي الإفتـاء فـي المملكـة ورئاسـة هيئـة كبـار العلمـاء ورئاسة إدارة البحوث العلميّة والإفتـاء نائبُه في الإفتاء الشّيخُ عبـد العزيـز بـن عبد اللـه بـن محمّـد آل الشّـيخ حفظـهُ اللهُ وباركَ فيه، وجعلهُ خيرَ خلفٍ لخيـر

سلفٍ، وهو معروفٌ في جدّه بالاشتغال بالعلم وفي خطبه النّافعة المفيدة في جامع الإمام تركي وفي مسجد نمرة بعرفة.

وكان القائم بأعمال رئاسة البحوث العلميّة والإفتاء والدّعوة والإرشاد قبل انتقال سماحة الشّيخ عبد العزيز بن باز من الجامعة الإسلاميّة إليها هو الشّيخ إبراهيم بن محمّد ابن إبراهيم آل الشّيخ.

وإنّا نفرحُ كثيراً إذا رأينا في آل الشّيخ مَنْ هم من أهل العلم.

وأقول: إنّ من محاسن ولاة الأمر في هذه البلاد عنايتَهم بآل الشّيخ، وحرصَهم على تمكينهم من الأعمال

المهمّـة، وذلـك أنّ أصـلَ هـذه الولايـة التي حصلَ النّفعُ فيها على مدى قرنين مـن الزّمـان أو أكـثر إنّمـا كـان بالتقـاء إمامين عظيمين هما الإمامُ محمّـد بـن سعود رحمه الله، والإمامُ الشّيخ محمّد بن عبد الوهّاب رحمـه اللـه، وقيامهمـا بالدّعوة إلى الله عزّ وجلّ، ونصرة دِين الله.

عاشراً: أمنيّات ومقترحات

وأختــم هــذه الكلمــات بأمنيّــات ومقترحات هي:

أوّلاً: أنّ الشّيخ عبد العزيـز بـن بـاز رحمـه اللـه كـان مرجعـاً للعُلمـاء، إذا جاءت المشكلاتُ رجعُوا إليه فـي حلِّهـا ومعرفة حكمها، وقد ذهبَ ورحلَ رحمه

اللـه، والعلـمُ الـذي فـي صـدره ذهـبَ معــه، ولكــن بقــي علمُــه الــذي فــي الأوراق والرّســائل والفتــاوى، والــذي نتمنّاه ونرجُوه ونقترحُه أن يعتني خَلَفُه في إتمام ما بُـدىء بـه مـن جمـع هـذه الرّســائل والفتــاوى وطبعهــا ونشــرها للاستفادة منها، وقد طبع منها اثنا عشر مجلّــداً كمــا أســلفتُ، وهــي تبلــغُ المجلّـدات الكـثيرة، ونسـألُ اللـه عـزّ وجلّ أن ييسّر جمعَها وطبعَهـا وتمكيـن طلبة العلم من الاستفادة منها.

ثانيــاً: وصــيّةٌ لــي ولطلبــة العلــم عموماً وهي الجِدُّ والاجتهادُ فـي طلـب العلــم وبــذل الوُسْــع فــي تحصــيله، والعناية بأخذه ونشره وبذله؛ كما كانت

حـالُ الشّـيخ رحمـه اللـهُ تعلّمـاً وعملاً وتعليماً ودعوةً ونصحاً.

ثالثـاً: أوصــي بعــض ذوي الهمــم العاليـة مـن طلبـة العلـم بالاتّجـاه إلـى إعـداد رسـائل علميّـة وأبحـاث تتنـاول إبراز جوانب مختلفة من جهـود الشّـيخ العلميّة في العقيدة والتّفسير والحديث والفقه والدّعوة إلى الله وغير ذلك.

رابعـاً: مــن المعلــوم أنّ الجامعــةَ الإســلاميّةَ بالمدينــة المنــوّرة عالميّــةُ النّفـعِ، والشّـيخُ عبـدُ العزيـز بـن بـاز عــالميُّ النّفــع، وهــو الــذي باشــر تأسيسها، وتولّى غرسـها منـذ افتتاحهـا واســتمرّ فيهــا خمســةَ عشــرَ عاماً، وإنّ اسمَ الجامعة الإسلاميّة اسمٌ

جميلٌ، ويـزدادُ جمـالاً إذا أطلـق عليهـا اســـــمُ: « جامعـــــة الشّـــــيخ عبـد العزيـز بـن بـاز الإسـلاميّة »، وقـد بذلتُ لذلك أسباباً ـ نفع اللهُ بها.

هـذه بعـضُ الأمنيّـات والمقترحـات الـتي فـي ذهنـي يسّـر اللـه تحقيقهـا، وأسألُ الله عزّ وجلّ أن يغفر لسـماحة الشّيخ، وأن يجزيهُ أحسنَ الجـزاء، وأن يبـارك فـي علمـه، وأن يـثيبهُ علـى مـا قدّم، وعلى ما حصل منه من الصّدقات الجاريـة، وأن يعظـم لـه الجـزاء، وأن يوفّقنـا جميعـاً لمـا يرضـيه، ولمـا فيـه تحصيل العلـم النّـافع والعمـل بـه، إنّـه سبحانه وتعالى جوادٌ كريمٌ، وصلّى اللهُ وسلّم وبارك على عبده ورسـوله نبيّنـا

محمّدٍ، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

* * *

الشيخ محمد بن عثيمين من العلماء الربَّانيِّين

قال ابن الأعرابي كما في فتح الباري (1/162):

((لا يُقال للعالِم ربَّاني حتى يكون عالِماً معلِّماً عاملاً)).

وأزيد: وأن يكون ذلك على فهم السلف الصالح وطريقتهم.

محاضرة ألقاها

عبد المحسن بن حمد
العباد البدر
في الجامعة الإسلامية
بالمدينة

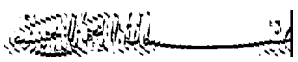

الحمـــد للـــه نحمـــده ونســـتعينه ونســتغفره، ونعــوذ بــالله مــن شــرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، مَــن يهــده الله فلا مضلَّ له، ومَن يُضلل فلا هــادي لــه، وأشــهد أن لا إلــه إلاَّ اللــه وحــده لا شــريك لــه، وأشــهد أنَّ محمــداً عبــدُه ورســولُه، وخليلُــه وخيرتُــه مِــن خَلْقــه، أرسـله اللـهُ تعـالى بيـن يـدي السـاعة بشيراً ونـذيراً، وداعيـاً إلـى اللـه بـإذنه وسراجاً منيراً، فدلَّ أمَّتَه على كلِّ خير، وحذَّرها من كلِّ شرٍّ.

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارِك عليه وعلى

آله وأصحابه ومَن سلك سبيلَه واهتدى بهديه إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعد:

فإنِّي أتحدَّث إليكم أيُّها الإخوة هـذه الليلة[2] عن شيخٍ فاضلٍ من شيوخ المملكة العربيَّة السعودية، وعَلَمٍ من أعلامها بل عن عَلَمٍ من أعلام العالَم الإسلامي، له جهودٌ كبيرةٌ في العنايةِ بالعلمِ ونشرِه وبذلِه، وإفادةِ طلبة العلم، ألا وهو الشيخ العلاَّمة محمد بن صالِح بن عُثيمين رحمه الله وأسكنه فسيح جنَاته.

---

[2] () هذه محاضرة أُلقيت في مسجد الجامعة الإسلامية بالمدينة ليلة الجمعة (24/10/1421هـ).

فـأقول: إنَّ أعظـمَ مصـيبةِ مـوتٍ حصـلت فـي الإسـلام المصـيبةُ بوفـاة نبيِّنـا محمـد ﷺ، والمصـائبُ العظمـى بعد تلك المصيبة إنَّما هي بموت ورثتِه ﷺ، وقد قـال ﷺ: ((إنَّ العلمـاءَ ورثـةُ الأنبياء، وإنَّ الأنبيـاءَ لَـم يُورِّثـوا دينـاراً ولا درهمـاً، وإنَّمـا ورَّثـوا العلـمَ، فمَـن أخذ بـه، أخـذ بحـظٍّ وافـر))، رواه أبـو داود (3641) وغيرُه، وسنده حسن.

والشيخُ ابنُ عُثيمين ـ رحمه اللـه ـ قد أخذ من العلـمِ بحـظٍّ وافـر، وبَـذَل جهـوداً عظيمـةً فـي نشـرِه، وإفـادةِ طلاَّب العلم.

وكلامـي عـن هـذا الشـيخ الفاضـل عن: نسبه، وولادته ونشـأته، وشـيوخه

وتلاميذه، وبذلِه للعلم وقيامِه بالدَّعوة، ومؤلفاتِه، ومكانتِه عند الناس، ووفـاتِه وعقِبِه، ووصايا ومقترحات.

أولاً: نسبه

هو محمد بن صـالح بـن محمـد بـن سليمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أحمد بن مُقبـل، مـن الوهَبـة، مـن بنِـي تميـم، وجــدُّه الرابــع عثمــان أُطلــق عليــه عُــثيمين، واشــتهرت هــذه الأســرة بالنسـبة إليـه بهـذا الإطلاق (عُـثيمين مأخوذ من عثمان).

أفادنِي بهذا النسب ابنُ عمِّه الدكتور عبد الرحمن ابن سليمان بن عُثيمين.

وانظـر كتـاب: « علمـاء نجـد خلال

ستة قرون)) للشيخ عبد الله البسَّام (2/422).

ثانياً: ولادته ونشأته

وُلد في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة 1347هـ في مدينة عُنيزة، إحدى مدن القصيم، ونشأ نشأة صالِحة طيِّبة.

تعلَّم القراءةَ والكتابةَ في الكتَّاب، وتعلَّم القرآنَ على جدِّه لأمِّه عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ، فحفظ القرآن وتتلمذ على الشيخ العلاَّمة عبد الرحمن ابن ناصر السَّعدي رحمه الله، ولَمَّا فُتح معهد الرياض العلمي استأذن شيخَه عبد الرحمن بن سعدي في

الالتحاق به، فدرس فيه، وكانت مدَّةُ الدراسة في ذلك الوقت بعد الابتدائي وقبل الكلية أربعَ سنوات، ودخل في السنة الثانية، وكان في ذلك الوقت نظام القفز، وهو أنَّ مَن يكون عنده استعدادٌ للتقدُّم في الدراسة، فإنَّه تُتاح له الفرصة في العطلة الصيفية أن يدرسَ مقرَّرات السنة التي بعد سنته التي انتهى منها، وإذا جاء الدور الثاني اختبر في مواد تلك السنة، فينتقل منها إلى السنة الأخرى، وكان ـ رحمة الله عليه ـ دَرَسَ في السنة الثانية، وفي الصيف درس مقرَّرات السنة الثالثة، وانتقل منها إلى السنة الرابعة، وبعد انتهائه منها فُتح المعهد

العلمي بعُنيزة سنة 1374هـ، وصار يدرسُ على شيخه الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، ويقوم بالتدريس في معهد عُنيزة العلمي، وكان مع ذلك منتسباً إلى كليَّة الشريعة، يذهب إلى الرياض لأداء الاختبار في نهاية كلِّ سنة دراسية، حتى أنهى الدراسة في الكليَّة.

وبعد افتتاح كليَّة الشريعة وأصول الدِّين بالقصيم انتقل من التدريس في المعهد إليها، واستمرَّ في التدريس فيها إلى أن توفي رحمه الله.

ولَمَّا تُوفِّيَ شيخُه عبد الرحمن بن سعدي سنة 1376هـ تولَّى الإمامةَ والخطابةَ والتدريس في المسجد

الجامع الكبير بعُنيزة، واستمرَّ على ذلك حتى توفَّاه الله.

ثالثاً: شيوخه وتلاميذه

أبرز شيوخه الذين درس عليهم: الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، درس عليه في المسجد الكبير بعُنيزة، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمهما الله، درس عليهما في معهد الرياض العلمي.

وأمَّا تلاميذه، فهم كثيرون، أخذوا عنه العلمَ في معهد عنيزة العلمي، وكلية الشريعة وأصول الدِّين بالقصيم، وفي المسجد الجامع الكبير

بعُنيزة، فتدريسُه في المسجد الجـامع الكـبير مـدَّتُه خمـسٌ وأربعـون سـنة، وتدريسـه فـي المعهـد والكليَّـة مـدَّتُه سبعٌ وأربعون سنة، فتلاميذه في هـذه المُدَّة الطويلة كثيرون جدًّا.

وكـان عـددٌ كـبير مـن الطلبـة مـن داخل المملكة وخارجها يرتحِلـون إليـه لتلقِّي العلمَ عنه لا سيما في الصـيف، حيث يكون له فيه دروسٌ كـثيرة، فـي الصباح وبعد العصر وبعد المغـرب، ولا ينقطع عن التدريس بعد المغـرب فـي جميع أيَّام السنة.

وفي المسجد الجامع الكبير بعُنيـزة مكتبة أسَّسها الشيخ عبد الرحمـن بـن سعدي رحمه الله، وبعد وفـاته واصـل

الشـيخ محمـد بـن عُـثيمين تزويـدها بالكتب، ولَمَّا أعاد الملك خالد ـ رحمـه اللـه ــ بنـاءَ المسـجد الجـامع الكـبير بعُنيزة، بنى بجواره عمارةً جعلها وقفاً على الطلبة الذين يرتحلون إلى عُنيزة للدراسـة علـى الشـيخ ابـن عُـثيمين رحمه الله، ونُقلـت المكتبـة إلـى تلـك العمـارة، فكـانت هـذه العمـارة فيهـا سكن الطلاَّب والمكتبة.

رابعــاً: بــذلُه العلــمَ وقيــامُه بالدَّعوة

علمنا مِمَّا تقدَّم أنَّـه بـدأ بالتـدريس في معهد عُنيـزة عـام 1374هـ، وأنَّـه بدأ بالخطابة والإمامة والتـدريس فـي المسجد الجامع الكبير عام 1376هـ،

وأنَّه أخذ العلمَ عنه طلبةٌ كثيرون في معهد عُنيزة العلمي، وفي كليَّة الشريعة وأصول الدِّين بالقصيم، والمسجد الجامع الكبير بعُنيزة، ولَم يقتصر بذلُه للعلمِ وقيامُه بالدَّعوة على بلاده القصيم، بل كان يبذل العلمَ عن طريق التدريس، والمحاضرات في البلاد التي ينتقل إليها داخل المملكة، وكان يذهب إلى مكة في أوقات مختلفة، ويقوم بالتدريس في المسجد الحرام، لا سيما في شهر رمضان، وكان من عادته أن يذهب إليه بعد ما يمضي جزءٌ من رمضان فيُدرِّس في المسجد الحرام، ويلتفُّ حولَه عددٌ كبير من

الطلبة الذين يحرصون على تلقِّي دروسِه والأخذ عنه، وكذا إذا حضر إلى المدينة لإلقاء محاضرات أو لغير ذلك، فإنَّه يُدرِّس في المسجد النبوي، ويسرُّ الطلاَّبُ إذا علموا بقدومه إلى المدينة ليَحضُروا دروسَه، ويستفيدوا من علمه، وكنتُ من المدرِّسين في هذا المسجد، فكان الطلاَّبُ يطلبون منِّي أن أوقف الدرسَ ليَحضُروا دروسَه، فكنتُ أوقفُها ليتمكَّنوا من الاستفادةِ منه، وكنتُ أحضُرُ دروسَه معهم في بعض الأحيان.

ومن مجالات تعليمه ودعوته إلقاؤه المحاضرات في مختلف مدن المملكة، في المساجد والجامعات.

وقد ألقى محاضرات عديدة في الجامعة الإسلامية بالمدينة، في مسجدها، وفي قاعة المحاضرات، وفي أماكن الصلاة في كليَّاتها ومعاهدها.

وأذكر أنَّ من محاضراته التي ألقاها في الجامعة الإسلامية، محاضرة واسعة بعنوان: منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل، وكذا محاضرة بعنوان: آداب طلب العلم.

وكان يُلقي محاضرات عن طريق الهاتف في أوربا وأمريكا وغيرها.

ومن مجالات تعليمه ودعوته مشاركته في المؤتمرات في داخل

المملكة، وقد عُقد في الجامعة الإسلامية ثلاثة مؤتمرات، مؤتمران في توجيه الدعوة وإعداد الدعاة، ومؤتمر في مكافحة المسكرات والمخدِّرات، وقد حضر هذه المؤتمرات وأفاد فيها في بحوثه ومناقشته.

ومن مجالات تعليمه ودعوته، مشاركته في توعية الحُجَّاج في مواسم الحج بالفتاوى، وإلقاء الدروس والمحاضرات، وقام بالإشراف على الدعاة لتوعية الحجاج في بعض السنوات لجنةٌ فيهم الشيخ رحمه الله، وكنتُ في هذه اللجنة، وكانت اللجنة تجتمع للنظر في شؤون

توعية الحجاج، وكـان الشـيخ ــ رحمـه الله ــ يُفيـد اللجنـة فـي رأيـه وعلمـه، وأذكـرُ أنَّـه عنـدما كُتـب التقريـرُ مـن اللجنة قيل له: هل ترغب أخـذ نسـخة من التقرير؟ فقال: لا آخذ نسخة منه، حـتى لا أحتـاج إلـى إحراقهـا؛ لأنَّـه ــ رحمـه اللـه ــ كـان مشـغولاً بـالعلم والاحتفاظ بما يتعلَّق به.

ومـــن مجـــالات دعـــوته ونفـــع المسلمين قيامه بالفتاوى على ما يَرِدُ إليـه مـن أسـئلة مـن داخـل المملكـة وخارجها، سواء بالمراسلة أو المقابلـة أو عـن طريـق الهـاتف، وقـد خصَّـص وقتاً معيَّناً للإفتاء عن طريـق الهـاتف، وكـان يُـواظب علـى الإفتـاء فـي هـذا

الـوقت وهـو فـي بلـده عُنيـزة، وإذا سافر جعل تسجيلاً على الهاتف يُرشد إلى رقمٍ في البلد الذي ينتقل إليه.

وأذكر أنَّه لَمَّا كان في لجنـة توعيـة الحُجَّـاج فـي مدينـة الطـائف لكتابـة تقريـر عـن أعمـال التوعيـة عـام 1409هـ، وتخلَّف عن الاجتمـاع بعـض الـوقت، ذكـر أنَّـه تـأخَّر للإجابـة عـن الأسئلة عن طريق الهاتف.

ومـن مجـالات تعليمـه ودعـوته مشاركته الكثيرة المفيدة في الإذاعة، فلـه برامـج ثابتـة فـي الإذاعـة، هـي: برنامج ((نور على الدرب))، وبرنامج ((سؤال على الهاتف))، وبرنامـج ((مـن أحكام القرآن الكريـم))، ولـه أحـاديث

في الإذاعة غير ثابتة في موضوعات متنوِّعة.

وبرنامج ((من أحكام القرآن)) مهمٌّ، عظيمُ الفائدة، يُعنى فيه بالتأمُّل في القرآن، واستخراج ما فيه من حِكَم وأحكام، وهو يدلُّ على مدى تَمكُّنه في الفهم والفقه في الدِّين، وقد وصل إلى قرب نهاية الجزء الثالث من القرآن الكريم، وقد قام الأخ الفاضل عبد الكريم بن صالح المقرن المذيع في إذاعة القرآن الكريم باستخراج ما يتعلَّق بالجزء الأول من القرآن من الأشرطة، وطُبع في مجلد، وهو مفيدٌ لا يستغنِي عنه طلبة العلم، وعسى اللهُ أن يُيَسِّر

استخراج وطباعة ما يتعلَّق بالجزأين الباقيين ليَعُمَّ النفع بهما.

والحاصل أنَّ مجالات تعليمه ودعوته تتلخَّص فيما يلي:

1 ـ التدريس في معهد عُنيزة العلمي، ثمَّ في كليَّة الدعوة وأصول الدِّين في القصيم، ابتداء من عام 1374هـ.

2 ـ التدريس في الجامع الكبير في عنيزة، ابتداءً من عام 1376هـ.

3 ـ الخطابة والإمامة في المسجد الكبير بعنيزة ابتداء من عام 1376هـ.

4 ـ التدريس في المسجد الحرام والمسجد النبوي.

5 ـ المحاضرات التي يُلقيها في المساجد والجامعات في مدن المملكة، والمحاضرات التي يُلقيها عبر الهاتف في أوربا وأمريكا وغيرها.

6 ـ مشاركته في بعض المؤتمرات التي عُقدت في المملكة.

7 ـ الفتاوى عن طريق المقابلة والمراسلة والهاتف.

8 ـ مشاركته في توعية الحجاج في مواسم الحج.

9 ـ برامج وأحاديث في الإذاعة.

خامساً: مؤلَّفاته

للشيخ مؤلفاتٌ كثيرة، وغالبها رسائل صغيرة، لكنَّها عظيمةُ النفع،

كبيرةُ الفائدة، تنقسم إلى قسمين:

قسمٌ حـرَّره بنفسـه، وأخرجـه بعـد تحريره.

وقسمٌ لَم يُحـرِّره، ولكـن اسـتُخرِج من أشرطة دروسه وطُبع.

ومِمَّا حرَّره:

ـ القواعـد المثلـى فـي صـفات اللـه وأسمائه الحسنى.

ـ عقيدة أهل السنة والجماعة.

ـ شرح لمعـة الاعتقـاد الهـادي إلـى سبيل الرَّشاد.

ـ أحكام الأضحية والذكاة.

ـ فتح ربِّ البَريَّة بتلخيص الحموية.

ومِمَّا استُخرج من الأشـرطة وطُبـع

بعضُه:

ـ الشـــرح الممتـــع علـــى زاد المستقنع.

وقد بلغت آثاره العلمية التي ذكرها تلميذه الشيخ وليد الحسين في مقـاله عن الشيخ المنشور في العـدد الثـاني مـــن مجلـــة الحكمـــة الصـــادر فـــي 1/9/1414هـ خمسة وخمسين أثراً.

ولـــه رســـائل فـــي أصـــول الفقـــه والمصـــطلح والعقيـــدة مقـــرَّرة فـــي المعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمـام محمد ابن سعود الإسلامية.

سادساً: مكانته عند الناس

للشيخ ـ رحمه الله ـ مكانةٌ مرموقةٌ

ومنزلــةٌ رفيعــةٌ، فقــد رُزق القبــول، وأحبَّــه النــاسُ، وحرصــوا علــى ســماع دروسه وفتاواه، واقتناء آثاره العلميـة، وأشــرطة دورســه ومحاضــراته، وهــو عالِمٌ كبيرٌ، وفقيهٌ متمكِّـن، وهـو محـلُّ التـوقير والإجلال مـن الـولاة والعلمـاء وطلبة العلم.

وكـان مـن تقـدير الـولاة فـي هـذه البلاد له أنَّهم عنـدما يـزورون القصـيم يزورونه في منزلـه، فقـد زاره الملـك خالد، والملك فهد، والأميـر عبـد اللـه، والأميـر سـلطان، وهــو أهــل للتــوقير والاحترام.

وهــو مــع ذلــك مــن أشــدِّ النــاس

تواضعاً، ومحبَّةً للخير، ونفعاً للناس، وإشفاقاً على الطلبة، وحرصاً على إفادتهم، وتحصيلهم العلم، وجمعهم بين العلم والعمل.

سابعاً: وفاته وعَقِبه

أُصيب ـ رحمه الله ـ بمرض عُضال، فسافر إلى أمريكا للعلاج أيَّاماً قليلة، وهي سفرتُه الوحيدة خارج المملكة، فاستغلَّ فرصة وجوده فيها في الدعوة إلى الله، وألقى خطبة الجمعة هناك، وعند رجوعه دخل المستشفى التخصُّصي بالرياض، واشتدَّ به المرض، وبعدما مضى جزءٌ من شهر رمضان رغب أن ينتقل إلى مكة

للتدريس في المسجد الحرام على عادته في السنوات الماضية، وهُيِّئت له غرفة خاصَّة في المسجد، فكان يُلقي الدروسَ وهو على فراشه بواسطة مكبِّرات الصوت، فيسمع الناسُ صوتَه المتأثر بالمرض ولا يرون شخصَه.

ونُقل بعد انتهاء رمضان إلى مستشفى في جدة، وتوفي هناك مساء يوم الأربعاء، الخامس عشر من شهر شوال عام 1421هـ، وصُلِّي عليه في المسجد الحرام عقِب صلاة العصر من يوم الخميس، ودُفن في مقبرة العدل بمكة، وشهد الصلاةَ عليه وتشييع جنازته خلقٌ كثير رحمه

الله، وكنتُ مِمَّن شهد الصلاةَ عليه وتشييعه، ورأيتُ كثرة الناس في الصلاة عليه وعند المقبرة.

وقد تأثَّر الكثيرون لوفاته، وحزنوا عليه لِما له من المكانة العلمية، ولِما فيه من النفع العظيم للإسلام والمسلمين، وقد قال ﷺ يوم مات ابنُه إبراهيم: « إنَّ العينَ تدمع، والقلبَ يحزن، ولا نقول إلاَّ ما يُرضي ربَّنا، وإنَّا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون »، رواه البخاري (1303)، واللفظ له، ومسلم (2315)، فرحمه الله وغفر له، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ من أعظم المصائب التي حلَّت

بالمسلمين في هذا العام، وفي العـام الذي قبله 1420هـ أُصيب المسـلمون بوفاة شيخ الإسلام الشيخ عبد العزيـز بن باز ـ رحمه الله ــ فـي صـباح يـوم الخميــس الســابع والعشــرين مــن المحرم سنة 1420هـ، ووفـاة الشـيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه اللـه، مساء السـبت الثـاني والعشـرين مـن جمادى الآخرة سنة 1420هـ، ونســأل اللـهَ عـزَّ وجـلَّ أن يغفـرَ للجميـع، وأن يُوفِّق طلبةَ العلم للاستفادة مـن علـم العلماء المحقِّقين الذين مضوا، ومنهم هـؤلاء الثلاثـة، والاسـتفادة مـن علـم العلماء الموجودين، إنَّه سميعٌ مجيب.

وقد جاء آثار عن السلف تدلُّ علـى

مدى عِظم المصيبة بموت العالِم:

ـ فعن سَلمان الفارسي ﷺ قال: « لا يزال الناسُ بخير ما بقي الأول حتى يتعلَّم الآخِر، فإذا هلك الأوَّلُ قبل أن يتعلَّم الآخِر هلك الناس » رواه الدارمي في سننه (255).

ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه لَمَّا مات زيد بن ثابت قال: « هكذا ذهابُ العلم، لقد دُفن اليوم علمٌ كثير » رواه الحاكم في المستدرك (3/428).

ـ وعن أبي الدرداء ﷺ قال: « تعلَّموا العلمَ قبل أن يُقبض العلمُ، وقبضُه أن يُذهَب بأصحابه... إلى أن قال: فما لي أراكم شباعاً من

الطعام، جِياعاً من العلم » جامع بيـان العلم وفضله لابن عبد البر (1/602).

ـ وعن الحسن قال: « موتُ العـالِم ثُلمة في الإسـلام لا يسـدُّها شـيء مـا طرد الليل والنهار » رواه ابن عبد البر فــي جــامع بيــان العلــم وفضــله (1/595).

ـ وعن أيُّوب السّختياني قال: « إنَّـه ليَبلُغنِي موتُ الرَّجل من أهـل السُّـنَّة، فكأنَّمـا سـقط عضـوٌ مـن أعضـائي » رواه أبو نعيم في الحلية (3/9).

ـ وقـال ابـن القيـم فـي مفتـاح دار السعادة (ص:74): «... لَمَّا كان صلاحُ الوجود بالعلماء، ولولاهم كـان النـاسُ كالبهـائم، بـل أسـوأ حـالاً، كـان مـوتُ

العالِم مصيبة لا يجبرها إلاَّ خلف غيرِه لـه، وأيضـاً فـإنَّ العلمـاءَ هـم الـذين يسوســون العبــادَ والبلاد والممالــك، فموتُهم فسادٌ لنظام العـالَم، ولهـذا لا يزال اللهُ يغرسُ في هذا الـدِّين منهـم خالفـاً عـن سـالف يحفـظُ بهـم دينَـه وكتـابَه وعبـادَه، وتأمَّـل إذا كـان فـي الوجود رجلٌ قد فاق العالَم في الغنـى والكــرم، وحــاجتهم إلــى مــا عنــده شديدة، وهو محسنٌ إليهم بكلِّ ممكن ثم مات، وانقطعت عنهم تلك المـادة، فموتُ العالِم أعظمُ مصيبة من مــوت مثل هذا بكثير، ومثل هذا يموت بموته أممٌ وخلائق)).

وقبـل ذلـك كلِّـه مـا قـاله الصـادق

المصـــدوق صـــلوات اللـــه وســـلامه وبركـاته عليـه، فـي الحـديث المتفـق على صحَّته عن عبد الله بن عمرو بـن العاص رضي الله عنهما قال: سـمعت رسـول اللـه ﷺ يقـول: « إنّ اللـه لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكـن يَقبـض العلـم بقبـض العلمـاء، حـتى إذا لَـم يُبـق عالِمـاً اتَّخـذ النـاسُ رؤوسـاً جُهَّـالاً، فسُـئلوا فـأفتوا بغيـر علـم، فضـلُّوا وأَضـلُّوا »، وهـذا لفـظ البخاري (100).

ولا شكَّ أنَّ وجـودَ العـالِم المحقِّـق بين الناس غنيمةٌ عظيمـةٌ، يسـتفيدون من نُصـحه، ويستضـيئون بنـورِ علمِـه،

فإذا فقدوه شعروا بالفراغ الواسع.

وفي هذا المعنى قال الشاعر محمد بن عبد الله بن عثيمين المتوفى سنة 1363هـ في رثاء الشيخ سعد ابن حمد بن عتيق المتوفى سنة 1349هـ:

خَبَتْ مصابيحُ كنّا نستضىءُ بها
وطوّحَتْ للمغيب الأنجُمُ الزُّهُرُ

واستحكمتْ غُرْبَةُ الإسلام وانكسفتْ
شمسُ العلومِ التي يُهدى بها البَشَرُ

عقِبه:

وأمَّا عقِبه فله خمسة من البنين،

وثلاث من البنات.

وبنوه هم: عبد الله، وعبد الرحمن، وإبراهيم، وعبد العزيز، وعبد الرحيم.

وأذكر أنَّه جرى حديث معه في تسمية الأولاد، فكان مِمَّا قال: إنَّنِي سَمَّيتُ ثلاثةً من أولادي معبَّدين لأسماء الله التي في البسملة، وهم عبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الرحيم.

أسألُ اللهَ عزَّ وجلَّ أن يُصلحَ عَقِبَه، وأن يُصلح أبناءَ المسلمين، وأن يُوفِّقنا جميعاً لِما فيه رضاه.

ثامناً: وصايا ومقترحات

أهمُّ ما أوصي به طلبةَ العلم بهذه المناسبة أن يحرصوا على الاشتغال

بالعلم، والاستفادة من أهله الذين هم على قيد الحياة، فيغتنموا فرصة وجودهم بينهم، ويأخذوا عنهم العلمَ، ويرجعوا إليهم في معرفة ما يشكل، وأن يعتنوا باقتناء الكتب النافعة لعلماء أهل السُّنَّة المحقِّقين من المتقدِّمين والمتأخِّرين، وأُوصيهم بالعناية بالمذاكرة بينهم في العلم، وشغل أوقاتهم بالقراءة في الكتب النافعة، والاشتغال بما يعود عليهم نفعه في الدنيا والآخرة.

أمَّا بالنسبة لما خلفه الشيخ ــ رحمه الله ـ من آثار، فأقترح أن يقوم بعضُ طلاَّبه الذين على علمٍ بمؤلفاته والأشرطة التي سُجِّلت فيها دروسه

ومحاضراته بكتابة فهرس شامل لتلك المؤلفـات والأشـرطة؛ ليكـون طلبـةُ العلم على عِلـمٍ بهـا، فيحرصـوا علـى اقتنـاء مـا أمكنهـم اقتنـاؤه منهـا، ثـم العناية بتفريـغ مـا لَـم يُفـرَّغ مـن تلـك الأشـرطة، والسـعي لـدى مَـن يقـوم بطباعتهـا، ليكـون طلبـةُ العلـم علـى إحاطة بما خلفه هذا العالِم الكبير مـن آثار، فيقتنوها ويستفيدوا منها.

ثمَّ أقول: إنَّ الشيخ ـ رحمه اللـه ــ مـن العلمـاء الـذين اجتهـدوا وحرصـوا على اتِّباع الدَّليل من الكتاب والسُّـنَّة، وله عناية في التحقيـق فـي المسـائل والاسـتدلال عليهـا بالكتـاب والسُّـنَّة والإجماع والمعقول، حيث يذكر الأدلَّـة

إجمـالاً ثـمَّ يفصِّـلها، ويُـبيِّن وجـهَ الاستدلال، وهو مِمَّـن رُزق فقهـاً فـي الدِّين، وعناية في فقه الشريعة أصولاً وفروعاً، وهو كغيـره يخطـئ ويُصـيب، وكلٌّ يؤخذ من قـوله ويُـردُّ إلاَّ رسـول الله ﷺ.

وله آراء في مسـائل يسـيرة، يـرى غيرُه أنَّ الصوابَ على خلاف ما قـال، وقد يكون هو المصيب، ومن المعلـوم أنَّ كلَّ مجتهـد للوصـول إلـى الحـقِّ لا يعـدم الحصـول علـى أجـرٍ أو أجرَيـن، على أجرين إن أصاب، وأجرٍ واحـد إن أخطـأ؛ لقـوله ﷺ فـي الحـديث الـذي رواه البخاري ومسلم عـن عمـرو ابـن العاص ﷺ قال: سـمعتُ رسـول اللـه

ﷺ يقول: ((إذا حكم الحاكمُ فاجتهدَ ثمَّ أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثمَّ أخطأ فله أجرٌ))، وهذا لفظ البخاري (7352).

فقد قسم النَّبِيُّ ﷺ الحكَّام في هذا الحديث إلى قسمين: مصيب ومخطئٌ، فدلَّ على أنَّ الحقَّ يُصيبه من يُصيبه، ويخطئه مَن يخطئه، وأنَّه ليس كلُّ مجتهدٍ في اختلاف التضادِّ مصيباً حقًّا، وإنَّما كلّ مجتهد مصيبٌ أجراً، مع تفاوتِهم في الأجر كما هو واضح من هذا الحديث.

والحاصلُ أنَّ الشيخَ ـ رحمه الله ـ عالِمٌ كبيرٌ، وعلمُه غزيرٌ، وصوابُه كثير، ونفعُه عميم، فأوصي بالاهتمام بآثاره

والاستفادة منها.

وختاماً فقد ورد في صحيح مسلم (920) من حديث أمِّ سلمة رضي الله عنها أنَّ النَّبِيَّ ﷺ دعا لأبي سلمة عند موتِه فقال: ((اللَّهمَّ اغفر لأبي سلمة، وارفع درجتَه في المهديِّين، واخلفه في عقِبِه في الغابرين، واغفر لنا وله يا ربَّ العالَمين، وافسَح له في قبره، ونوِّر له فيه)).

وأنا أقول: اللَّهمَّ اغفر للشيخ محمد بن عُثيمين، وارفع درجتَه في المهديِّين، واخلفه في عقِبِه في الغابرين، واغفر لنا وله يا ربَّ العالَمين، وافسَح له في قبره، ونوِّر له فيه.

وأســألُ اللــهَ أن يُوفِّقنــا جميعــاً لتحصيل العلمِ النافع، والعمل الصالِح، إنَّه سميعٌ.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورســوله نبيِّنــا محمَّــدٍ وعلــى آلــه وأصحابه أجمعين.

* * *

الشيخ عمر بن محمد
فلاته رحمه الله
وكيف عرفته

محاضرة ألقاها

عبد المحسن بن حمد
العباد البدر
في الجامعة الإسلامية

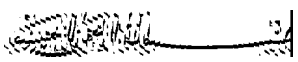

الحمــدُ للــه نحمــدُه ونســتعينُه، ونســتغفرُه، ونعــوذُ بــالله مــن شــرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، مــن يهــدِه اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هــاديَ لــه، وأشــهدُ أن لا إلــه إلاّ اللــهُ وحــده لا شــريكَ لــه، وأشــهدُ أنّ محمّــداً عبــدُه ورســولُه، وخليلُــه وخيرتُــه مــن خَلْقِــه، أرسلهُ اللــهُ بيــن يــدي السّــاعة بشــيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بــإذنه وســراجاً منيراً، فدلَّ أمّتَهُ على كلِّ خير، وحذّرها من كلِّ شرّ، اللهمّ صــلِّ وســلِّم وبــارك

عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن سلكَ سبيلَهُ واهتدى بهديه إلى يوم الدِّين.

أمّا بعدُ:

فإنّ الحديث معكم أيّها الإخوة في هذا اللّقاء[3] عن الشّيخ عمر محمّد فلاته رحمه اللهُ، ولو كان الحديثُ في بلد آخر غير المدينة في أناس لا يعرفون الشّيخ عمر رحمه الله معرفةً تامّةً أمكن أن يكون فيما أقول لهم فائدة، أمّا والكلامُ عنه رحمه الله في المدينة وفي أناسٍ يعرفونه فإنَّ الفائدة قد لا تكونُ كبيرةً جدّاً.

---

[3] () محاضرة ألقيت في قاعة المحاضرات في الجامعة الإسلامية في أوائل شهر المحرّم من عام 1420 هـ.

وكلامي عن الشّيخ عمر رحمه الله تعالى يتعلّق في أمور:

أوّلاً: اسمُه، وولادتُه، ونشأتُه.

ثانياً: عقيدتُه، ودعوتُه، ومنهجُه.

ثالثاً: تدريسُه في المسجد النّبويّ.

رابعاً: إدارتُه لدار الحديث في المدينة.

خامساً: أعمالُه الأخرى في غير الدّار، بالإضافة إلى إشرافه على الدّار.

سادساً: عددُ حجّاته.

سابعاً: كيف عرفتُ الشّيخ عمر ومدى الصّلة التي بيني وبينه.

ثامناً: صفاتُه والتّشابهُ بينه وبين شيخه وشيخي الشّيخ عبد الرّحمن

الإفريقيّ رحمه الله تعالى.

تاسعاً: ذكر أمثلة من دُعابته وطرائفه رحمه الله تعالى.

عاشراً: وفاتُه وعقبُه.

فأقول:

أوّلاً: اسمُه

هو رفيقي وصديقي وحبيبي الشّيخ عمر بن محمّد بكر الفُلاَّنِيُّ الشّهيرُ بفُلاَّتَه، هكذا أُثبت في نموذج الإجازة التي يمنحها، وأنا أعرف أنّه أحياناً يقول: الفُلاَّني، وأحياناً يقول: فُلاَّته، والفُلاَّني: نسبة إلى قبيلة في إفريقيا.

أمّا ولادتُه: فكانت في عام 1345هـ، وكان ذلك على مقربة من

مكة، وذلك أنّ أبويه هاجرا من إفريقيا، ومكثا في الطّريق ما يقرب من سنة، وعلى مقربة من مكّة ولد الشّيخ عمر رحمه الله، وكان يقول: شاء الله أن يبدأ أبواه في الرّحلة وهما اثنان، وأن تنتهي وهم ثلاثة، أي: بوجود هذا المولود الذي صار ثالثاً لهما.

أمّا نشأتُه: فقد انتقل مع والديه بعد عام من ولادته إلى المدينة، ونشأ فيها وترعرع وبدأ تعليمه بالكُتّاب عند العريف محمّد بن سالم، ثمّ دخل في دار العلوم الشّرعيّة، ونال شهادتها الابتدائيّة، ثمّ نال الشّهادة الابتدائيّة من مديرية المعارف العمومية وذلك في عام 1363هـ، ثمّ بعد ذلك واصل

الدّراسة في ما فوق الابتدائيّة، ودخل دار الحديث وأخذ شهادتها العالية، وكان ذلك في سنة 1367هـ، ولازم الشّيخ عبد الرّحمن بن يوسف الإفريقيّ رحمه الله، واستفاد من علمه، وله مشايخ آخرون استفاد منهم ولكن الفائدة الكبيرة والملازمة المستمرّة إنّما هي للشّيخ عبد الرّحمن بن يوسف الإفريقيّ رحمه الله، ودرّس في دار الحديث، ودرّس أيضاً في غيرها، وبعد وفاة الشّيخ عبد الرّحمن الإفريقيّ رحمه الله الذي كان هو النّاظر على دار الحديث تولّى إدارتها الشّيخ عمر رحمه الله.

ثانياً: أمّا عقيدتُه ومنهجُه:

فقد كان رحمه الله على عقيدة السّلف ومنهجهم، ملتزماً بما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ، حريصاً على معرفة الدّليل، واقتفاء آثار السّلف الصّالح، وكان يكرهُ المناهج المخالفة لطريقة السّلف الصّالح رحمهم الله.

وأمّا دعوتُه إلى الله: فكان داعيةً ناجحاً، وذلك في فصاحته وبلاغته وأسلوبه الحسن، وفي نصحه وصدقه وإخلاصه رحمه الله، فكان في دعوته مفيداً ونافعاً لمن يسمعه، وكان رحمه الله عندما يتحدّث في بعض الدّروس وفي بعض الكلمات التي يلقيها في الدّعوة إلى الله عزّ وجلّ ـ وقد سمعتُ جملةً منها في الحجّ ــ فإنّه كان يشدّ

انتباه الحاضرين إلى كلامه، وذلك لفصاحته وبلاغته وعلمه ومعرفته وجودة إلقائه وتمكّنه من المادّة التي يتكلّم فيها.

وقد قام رحمه الله بالدّعوة إلى الله عزّ وجلّ عن طريق تدريسه في المسجد النّبويّ، وعن طريق مشاركته في توعية الحجّاج فإنّه منذ أنشأت النّوعية التّابعة لرئاسة البحوث العلميّة والإفتاء والدّعوة والإرشاد في عام 1392هـ إلى أن توفّي وهو في النّوعية، فكان يفيد السّامعين ويفيد الحجّاج وغير الحجّاج رحمه الله، وكذلك ذهب للدّعوة إلى الله عزّ وجلّ منتدباً من الجامعة الإسلاميّة، وأيضاً

للتّـدريس فـي الإجـازة الصّـيفيّة فـي الدّورات الـتي تقيمهـا الجامعـة، وكـان داعيـةً إلـى اللـه عـزّ وجـلّ فـي البلاد المختلفة التي ذهب إليها.

ثالثاً: أمّا تدريسُه فـي المسـجد النّبويّ

فقــد كــان بدايــة ذلــك فــي عــام 1370هــ إلـى أن تـوفّي رحمـه اللـه تعــالى فــي أواخــر العــام الماضــي 1419هــ، أي أنّـه درّس فـي المسـجد النّبويّ ما يقارب نصف قرن قضاها في التّـدريس فـي هـذا المسـجد المبـارك مسجد الرّسول ﷺ، وكان مكانُه قريبـاً مــن الرّوضــة، وكنــتُ عنــدما بــدأت

بالتّدريس في المسجد النّبويّ حلقتي قريبة من حلقته، وكنّا نسمع صوته الرّخيم الواضح الجهوريّ، وكان صوتُه ـ رحمه الله ـ يرتفع وينخفض، وكنّا نداعبُه عند ذلك في الطّلعات التي تكون في صوته حيث ينزل ثمّ يرتفع ويسمعه من يكون بعيداً منه.

وعلى هذا فقد مكث هذه المدّة الطّويلة التي لم يكن أحدٌ يماثلُه فيها في هذا الزّمان، والذي يقاربُه فيها الشّيخ أبو بكر الجزائريّ حفظه الله فإنّه بدأ بالتّدريس في المسجد النّبويّ في عام ثلاثة وسبعين وثلاثمائة وألف،

ولا يزال في التّـدريس بـارك اللـه فـي جهوده وفي دعوته ونفع به المسلمين.

رابعــاً: إدارتُــه لــدار الحــديث بالمدينة

بعـدما تـوفّي الشّـيخ عبـد الرّحمـن الإفريقـيّ ــ رحمــه اللــه ــ فــي عــام 1377هـ وكان هو النّـاظر عليهـا خلفـه الشّيخ عمر في إدارتها والنّظارة عليها، وكانت لها منزلة عنده ومكانــة رفيعــة، وكان يحدب عليها ويحرص عليها وهــي شــغله الشّــاغل رحمــه اللــه تعــالى، واستمرّ فيها مديراً لها ومربّياً وموجّهـاً لطلاّبها.

وفي عام خمسة وثمـانين وثلاثمائـة

وألف انتقل إلى الجامعة الإسلاميّة في الأعمال المختلفة التي سأشير إليها بعد قليل، ولكنّه مع ذلك محتفظ بإدارة هذه الدّار والإشراف عليها مع أعماله التي أنيطت به في الجامعة الإسلاميّة، واستمرّ على ذلك في الجامعة يقوم بالأعمال التي أنيطت به بالإضافة إلى إشرافه على دار الحديث، ولمّا تقاعد رجع إلى الجلوس فيها وإدارتها حتّى توفّاه الله عزّ وجلّ.

وكان رحمه الله قد اعتنى بهذه الدّار، ولمّا أدخلت المباني القريبة من المسجد النّبويّ في مشروع المسجد النّبويّ، وكانت الدّارُ قريبةً من المسجد، وكانت إمّا داخلة في

المسجد أو في السّاحة القريبة منه، وكان قد رُصد لها مبلغ من المال تعويضاً لذلك الوقف للأرض والمنشآت التي عليه، فقيل له: لو أنّك طلبت منهم أن يزيدوا في المقدار الذي خصّص تعويضا لهذه الدّار؟ فقال: لا أفعل لأنّها ــ أي الأرض ــ داخلة في المسجد النّبويّ أو في ساحاته ويكون الأجر والثّواب إن شاء الله لِمن أسّسها وأوقفها حيث تكون في جملة المسجد أو في ساحات المسجد. ثمّ إنّه بعدما رُصد المبلغ لهذه الدّار اجتهد في البحث عن مكان مناسب وكان أن انتهى إلى شراء تلك

الأرض التي بنيت عليها الدّار الآن، وتـمّ بناؤُها على وجه حسن وبناء فيه إتقــان ومتانة، وتصميمُ هذه الدّار صار له تميّزٌ في هذه المدينــة ونـال جـائزة المدينــة في التصميم العمراني.

خامساً: الأعمـال الـتي أنيطـت به

في عـام خمسـة وثمـانين وثلاثمائـة وألف نُقل إلـى الجامعـة وكُلّـف بعمـل الأمين العام المسـاعد، واسـتمرّ علـى ذلـك، ثـمّ عيّـن أمينـا عامـا، ثـمّ بعـدما صـــــــــــــــــــــــــــــــنّف هيئة التّـدريس وتحوّلـوا مـن الوظـائف القديمة إلـى الوظـائف الـتي هـي فـي

كادر المدرّسين على النّظام الحديث وذلك في عام 1396هـ صنّف على أستاذ مساعد.

وكان مع قيامه في العمل الإداري يؤدّي دروساً في كليّة الحديث، ثمّ بعد ذلك صار مسؤولاً عن مركز الدّعوة في الجامعة، ثمّ مسؤولاً عن مركز خدمة السّنّة والسّيرة النّبويّة في الجامعة، وهو الذي تمّ على يديه تأسيسُه والبداءةُ به، وتقاعد وهو يقوم بذلك العمل.

سادساً: عددُ حجّاته

حجّ فرضه في عام 1365هـ واستمرّ في الحجّ إلى عام 1418هـ لم

يتخلّف عن الحجّ إلاّ سنة واحـدة وهـي سنة 1367 هـ بسبب تمريـض مريـض كان عنده، وقد بلغت حجّاتُه رحمه اللهُ ثلاثا وخمسين حَجَّةً.

سـابعاً: صـفاتُه والتّشـابهُ بينـه وبين شيخه وشـيخي الشّـيخ عبـد الرّحمــن الإفريقــيّ رحمــه اللــه تعالى

كان من صفاته رحمه الله ـ كمـا هـو معلوم لكلّ من عرفه ــ طلاقـةُ الـوجه وحسنُ الاستقبال، وكان رحمه اللهُ مع قلّـة مـاله وضـعف حـاله غنـيّ النّفـس سـخيّ اليـد رحمـه اللـه تعـالى، وكـان حريصاً على نفـع المسـلمين، ومـدّ يـد العون لهم ومسـاعدتهم، وكـان رحمـه

اللـه تعـالى ذا تواضـع جـمّ يعرفُـه مـن خالطه ومـن رافقـه فـي السّـفر، وقـد رافقتُه كمـا رافقـه غيـري وكـلٌّ يعـرف منه تواضـعه وأنّـه مـع كـونه يكـبر مـن يكون معه في السّنّ إلاّ أنّـه يبـادر إلـى أن يسـبق إلـى الخدمـة مـع أنّـه هـو الحقيق بأن يُخـدم لفضـله ولكـبر سـنّه رحمه الله تعالى.

وكان بينه وبيـن شـيخه الشّـيخ عبـد الرّحمن الإفريقيّ شبه واضح بيّن، وأنـا درسـتُ علـى الشّـيخ عبـد الرّحمـن الإفريقـيّ فـي الرّيـاض فـي عـام 1372هـ وعام 1373هـ درسـتُ عليـه في الحديث والمصطلح، وكان مدرّسـا ناصحا وعالما كبيرا، وموجّهـا ومرشـدا

وقـدوة فـي الخيـر رحمـه اللـه تعـالى.

والتّشـــــــــــابهُ بينـــــــــــه وبين الشّيخ عمر رحمه الله قـويٌّ فـإنّ الصّفات التي ذكرتُها عـن الشّـيخ عمـر موجودة في شيخه الشّيخ عبد الرّحمن الإفريقـيّ وكـلٌّ منهمـا لـه محبّـة فـي النّفوس وقبـول عنـد النّـاس. وللشّـيخ عمر رحمه الله محاضـرة واسـعة عـن الشّـيخ عبـد الرّحمـن الإفريقـيّ ألقاهـا فـــي قاعـــة المحاضـــرات بالجامعـــة الإسلاميّة في 13/ 4/ 1398هـ، وهي مطبوعةٌ فـي المجلّـد الخـامس ضـمن محاضـــرات الجامعـــة الإســـلاميّة المطبوعة في ستّة مجلّـدات للأعـوام: مـن 1394 إلـى 1399هــ، كـلٌّ مجلّـد

منهـا يشـتملُ علـى خمـس عشـرة محاضرة، وهـي موجـودة فـي مكتبـات الجامعة.

ثامناً:

أمّا كيف عرفتُ الشّيخ عمـر محمّـد فلاّتـه ومـدى الصّـلة الـتي بينـي وبينـه فـأوّل مـا عرفتُـه عنـدما قـدمتُ إلـى المدينة عند افتتـاح الجامعـة الإسـلاميّة في عام 1381هـ كنـتُ أسـمع ويـتردّد علـى سـمعي الشّـيخ عمـر مـدير دار الحديث، فذهبتُ إليه ودخلـتُ مـع بـاب الـدّار الـذي هـو إلـى جهـة الجنـوب، وبعدما يـدخل الإنسـانُ مـع هـذا البـاب يجد أمامه ساحة واسعة وعلـى يسـاره

غرفة هي مكان مدير الدّار وإذا الشّـيخ عمر رحمه الله تعـالى فـي زاويـة مـن زوايا هذه الغرفة على مكتبه، فسـلّمتُ عليــه ورأيــتُ مــن أوّل وهلــةٍ منــه السّـماحة واللّطـف والبُشـر والـدّعاء ومحبّة الخير للنّاس.

فكان هذا أوّل لقاء حصـل لـي معـه وأوّل تعرّف عليه في تلك الجلسة التي دخل حبُّه في قلبي، وبعد ذلك توطّـدت العلاقة بيني وبينه ولاسيّما بعدما انتقـل إلى الجامعة الإسـلاميّة، فكنـتُ لا يمـرّ يومٌ غالبا إلاّ وألتقـي بـه وأجلـس معـه وأستأنس به كثيراً رحمـه اللـه تعـالى، ثمّ في عام 1389هـ وكذلك فـي العـام الذي يليه ذهبـتُ أنـا وإيّـاه للتّعاقـد مـع

مدرّسين للجامعة الإسلاميّة إلى الأردن وسـوريا ولبنـان ومصـر، وبلغـت تلـك المدّة التي اصطحبنا فيها ما يقرب من شهرين فـي كـلّ مـن هـاذين العـامين، وقـد رأيـتُ أخلاقـه الكريمـة وتواضـعه الجمّ.

وأذكر أنّه كنّا في فندق من الفنادق، وكنّـا نسـكن فـي غرفـة وفـي داخلهـا حمّام، وكان في الحمّام يقضي حـاجته رحمه الله، فدخل شـخص فقـال: أيـن رئيس اللّجنة؟ فقلتُ لـه: اجلـس يـأتي الآن، وكـان يسـمع وهـو فـي داخـل الحمّـام، ولَمَّـا خـرج قـال: هـذا رئيـس اللّجنـة يشـير إلـيّ: لسـتُ أنـا رئيـس اللّجنـة، فقلـتُ: لا أبـداً لسـتُ رئيـسَ

اللّجنة أنت رئيسُها، فصار الأمرُ يدور بيني وبينه كلٌّ يقول للآخر: أنا لستُ الرّئيس وإنّما الرّئيسُ أنتَ، فتعجّب هذا الشّخصُ الذي دخل وكان يسأل عن رئيس اللّجنة، وهذا من لطافته وتواضعه وسماحته رحمه الله تعالى.

ثمّ كانت العلاقة بيني وبينه وطيدةً جدّا بحيث لا ينقطع أحدُنا عن الآخر، وكان يزورني وأزوره، ويتّصل بي وأتّصل به، إذا تأخّر أحدُنا عن الآخر فترة وجيزة اتّصل بالهاتف يسألُ عنّي واتّصلتُ به أيضا أسألُ عنه، وكانت المودّة بيننا قائمة،

وكان ذلك كلّه في الله ومن أجل اللـه، ليـــــــــــــــــــــــــــس هناك رابطة تربطني بـه إلاّ الحـبّ فـي اللـــــــــــه والمـــــــــــوالاة في الله عزّ وجلّ، وأرجو أن أكون وإيّاه من السّبعة الذين يظلّهم الله في ظلّـه يـــــــوم لا ظـــــــلَّ إلاّ ظلُّـــــــه الذين ورد ذِكْرُهُمْ في الحديث الصّـحيح وفيهـــــــــــــــــــــــــــم: ((ورجلان تحابّا فـي اللـه اجتمعـا علـى ذلك وتفرّقا عليه)).

وكــان رحمــه اللــهُ مأذونــاً لعقــد الأنكحة، وهذا مـن المجـال الـذي ينفـع فيـه النّـاس ويحسـن فيـه إلـى النّـاس

رحمه اللـه تعـالى، وكـان بـاذلاً نفسـه لهذه المهمّة وذلك في وقت مبكّر.

تاسعاً:

أمّـا الأمثلـةُ مـن دعـابته وطرائفـه فأذكر من لطائفه حـول موضـوع عقـد الأنكحة أنّه جاء إلى موظّـف فـي إدارة فـي حاجـة مـن الحاجـات، وكـأنَّ ذلـك الموظّـفُ تلكّـأ ومـا قـام بتيسـير أمـر الشّيخ عمر، وكان قـد عقـد لوالـد هـذا الموظّف على أمّه، فكان منه أن قـال: هذا ابنُ فلان؟ هـذا الـذي عقـدتُّ لأبيـه على أمّه، أنا الذي أخطأتُ لمّـا عقـدتُّ لأبيه على أمّه!! فضـحك النّـاسُ وقـام الموظّفُ حالاً بإنهاء حـاجته، فهـذا مـن لطافته وظرافته رحمه الله تعالى.

ومن طرائفه أنّا كنّا في سفر إلى مصر وكان في الأزهر طلبة كثيرون جاءوا من الأرياف، وكانوا يتّخذون من أروقة الأزهر سكنا لهم، وللمسجد إمام وكان يدعو للطّلاّب فيقول: اللّهمّ نجّح الطّلاّب، ووفّقهم للحكمة والصّواب. ومن دعابة الشّيخ عمر أنّه كان يُؤَمِّنُ ويقول: نحن من الطّلاّب أي: طلاّب المدرّسين لأنّنا جئنا في طلبهم والتّعاقد معهم.

ومن طرائفه أنّه كان معنا في السّفر نقود هي دولارات أمريكيّة، وكنّا نسمعُ إذاعة لندن، وعندما يأتي في آخر الأخبار بيان أسعار العملة فيذكر انخفاض سعر الدّولار فيظهر التّأثّر

مداعبةً لأنّ النّقود التي معنا دولارات.

ومن طرائفه أنّني كنتُ معه في مجلس وفيه أحدُ المشايخ وقد حجّ فرضه بعد ولادتي بسنة، وكنتُ أعرفُ ذلك فسألتُه قائلاً: متى حججتَ فرضَك؟ فقال له الشّيخ عمر: انتبه لا يجرّ لك لسانك، يعني بذلك التّوصّل إلى مقدار عمر ذلك الشّيخ.

ومن الطّرائف العجيبة أنّني أداعب الشّيخ عمر حول سنّه وأنّه كبير، ولا يظهر عليه أثر الكِبَر، وفي سنة من السّنوات كنّا في الحجّ، ودخلنا مخيّم التّوعية في عرفات، وإذا فيه رجل قد ابيضّ منه كلُّ شيء حتّى حاجباه، فقلتُ للشّيخ عمر: هذا من أمثالك أي:

كبار السّنّ، وبعـد أن جلسـنا قـال ذلـك الرّجل يخاطبني: أنا تلميذ لك درّسـتني في مدرسة ليلية ابتدائية في الرّياض ــ وكان ذلك في سنة 1374 هـ تقريباً ــ، وكنتُ في زمن دراسـتي فـي الرّيـاض أدرّس مساء متبرّعاً في تلك المدرسة الـتي غـالبُ طلاّبهـا موظّفـون، فوجـد ذلك الشّـيخ عمـر رحمـه اللـه مناسـبة ليقلـب الموضـوع علـيّ، فكـان يكـرّر مخاطباً ذلك الرّجل: أنت تلميذ الشّـيخ عبد المحسن؟

عاشراً: وفاته

لقد توفّي رحمه الله في صبيحة يوم الأربعاء الموافق التّاسع والعشرين من

شـهر ذي القعـدة مـن عـام 1419هـ، وهــو آخــر يــوم فــي ذلــك الشّــهر إذ ثبت دخول ذي الحجّة ليلة الخميس، وكـــــــــــــــــــــــــــــان ـ رحمه الله ـ يرقد في مستشـفى فـي الرّياض، وكنتُ عزمـتُ علـى أن أزوره فـي الرّيـاض ولكنّـه قيـل: إنّ الأطبّـاء سـيأذنون لـه بـالخروج آخـر الأسـبوع، وعـاد إلـى المدينـة فـي صـبيحة اليـوم الثّامن والعشرين، وشاء الله عزّ وجــلّ أن تقبض روحه وهـو فـي المدينـة مـن الغد؛ وصـل السّـاعة الثّامنـة والنّصـف من يوم الثّلاثاء يوم الثّـامن والعشـرين وفي الثّامنة والنّصف من يـوم الأربعـاء التّاسـع والعشـرين تـوفّي رحمـه اللـه.

وصلّي عليه فـي المسـجد النّبـويّ بعـد صلاة العصر، ودفن في البقيـع، وشـهد جنازته خلق كثير من الحجّاج و غيرهــم رحمه الله وغفر له.

وقـد خلـف بعـده سـبعة مـن البنيـن واثنتين من البنات أصلحهم الله جميعـا وبارك فيهم.

وفي الختام أسأل الله عـزّ وجـلّ أن يغفر للشّيخ عمر وأن يعلي درجته، وأن لا يفتننا بعده، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون، وصلّى اللـه وسـلّم وبـارك علـى عبـده ورسوله نبيّنا محمّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

* * *

عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ نموذج من الرعيل الأول

مقدمة.....5
نسبُه، وولادتُه، ونشأتُه.....8
شيوخُه وتلاميذُه.....9
أعمالُه التي تولاّها.....
12
علمُه.....
15
عمومُ نفعِه.....
19
عبادتُه.....
25

مؤلّفاتُه..... 28
صلتي الخاصّةُ به..... 30
وفاتُه، وعَقِبُهُ، ومَنْ خَلَفَهُ..... 35
أمنيّاتٌ ومقترحاتٌ..... 41

الشيخ محمد بن عثيمين من العلماء الربَّانيِّين

مقدمة..... 47
نسبه..... 49

ولادته ونشأته.....
50
شيوخه وتلاميذه.....
52
بذله للعلم وقيامه بالدَّعوة.....
54
مؤلفاته.....
61
مكانته عند الناس.....
62
وفاتِه.....
63
وعقِبه.....
70
وصايا ومقترحات.....

70

الشيخ عمر بن محمد فلاته رحمه الله وكيف عرفته

مقدمة..... 77
اسمُه، وولادتُه، ونشأتُه..... 79
عقيدتُه، ودعوتُه، ومنهجُه..... 81
تدريسُه في المسجد النّبويّ..... 83
إدارتُه لدار الحديث في المدينة..... 84
الأعمال التي أُنيطت به.....

87
عددُ حجّاته.....
88
صفاتُه والتّشابهُ بينـه وبيـن شـيخه وشـيخي الشّـــــــــــــــــــــــــــــــــيخ عبد الرّحمن الإفريقيّ رحمه الله تعالى. .
88
كيف عرفتُ الشّيخ عمر ومدى الصّـلة الـتي بيني وبينه.....
90
ذكر أمثلة من دُعـابته وطرائفـه رحمـه اللـه تعالى.....
94
وفاتُه وعقبُه.....
96